التقـريـر الشهـري

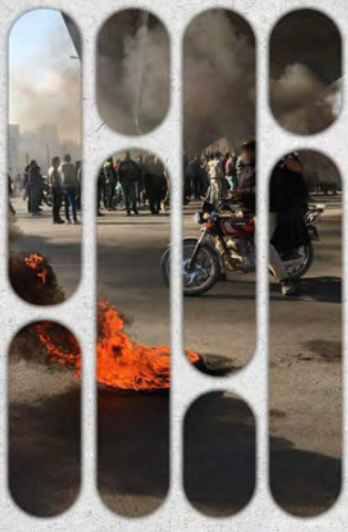

تقرير الحالة الإيرانية

أكتوبـر 2019

نافذتك على إيران من الداخل والخارج

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

WWW.RASANAH-IIIS.ORG

تقرير الحالة الإيرانية

أكتوبر 2019

www.Rasanah-iiis.org

Rasanah_iiis info@rasanahiiis.com +966112166696

رقم ردمد: 8320 - 1658

حقوق النشر محفوظة، ولا يجوز الاقتباس من موادّ التقرير دون إشارة إلى المصدر، كما لا يجوز إعادة نشر المادة دون موافقة إدارة المعهد.

المحتويات

الملخص التنفيذي 3

الشأن الداخلي 7

الملف الآيديولوجي 8

أولًا: مسيرة الأربعين.. إيران والتوظيف السياسيّ 8

ثانيًا: مسيرة الأربعين.. المظاهرات الشيعية والخلاف مع الإيرانيين 11

الملف السياسيّ 14

أولًا: دلالات إشادة الرئيس روحاني بأول برلمان 14

ثانيًا: ردود أفعال المتشددين 16

ثالثًا: ما الذي يميز البرلمان الأول عن بقية البرلمانات؟ 16

الملف الاقتصاديّ 18

أولًا: واقع مؤشرات أداء الاقتصاد الإيراني وإحصائياتها 19

ثانيًا: مسبِّبات تراجع المؤشرات الاقتصادية 23

الملف العسكريّ 26

أولًا: نظرة على العَلاقات الإيرانية-الصينية 27

ثانيًا: التحضير للعَلاقات العسكرية بعد أكتوبر 2020 29

الشأن العربي 33

إيران واحتجاجات العراق ولبنان 34

أولًا: انطلاق شرارة الاحتجاجات ومطالب المحتجّين في العراق ولبنان 34

ثانيًا: هتافات وشعارات المحتجّين اللبنانيين والعراقيين ضد إيران 34

ثالثًا: اتساع الحراك الاحتجاجي لمعاقل الحواضن الشيعية بالجنوب العراقي واللبناني 36

رابعًا: الجماعات الشيعية في مرمى نيران الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان 36

خامسًا: دوافع الاحتجاجات ضد الوجود الإيراني في العراق ولبنان 37

سادسًا: أثر الاحتجاجات العراقية واللبنانية على حجم النفوذ الإيراني 39

سابعًا: الموقف الإيراني من الاحتجاجات في العراق ولبنان 40

ثامنًا: مآلات الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان ونفوذ إيران في الإقليم 41

الشأن الدولي 43

إيران والولايات المتحدة 44

أولا: تطوّرات الموقف الأمريكي من الأزمة مع إيران 44

ثانيًا: السياسة الإيرانية في مواجهة المواقف الأمريكية 48

إيران وباكستان 52

أولًا: سياق زيارة عمران خان إلى إيران 52

ثانيًا: أبعاد الوساطة الباكستانية 52

ثالثًا: نتائج الوساطة 54

الملخص التنفيذي

ارتبكت الحسابات الإيرانية في شهر أكتوبر 2019م تحت وطأة تصاعد موجة الاحتجاجات الشعبية في كل من العراق والبنان، فبعد عقد إيران الرهان على مساندة دول الجوار الإقليمي لها في التخفيف من حدّة آثار العقوبات الأمريكية المفروضة عليها، سواء عبر الطرق المشروعة المتمثلة في تلقي الصادرات الإيرانية منخفضة الجودة، أو غير المشروعة مثل القيام بعمليات تهريب النفط وغسل الأموال، فضلًا عن دور هذه الدول في تكوين مرتكزات للمشروع الطائفي الإيراني، جاءت الاحتجاجات الشعبية رافضة للمشروع الإيراني وارتهان الدول العربية لصالح إيران، وهيمنة الكيانات ذات الولاء الإيراني على الحياة السياسية، التي نتج عنها تردّي الأوضاع الاقتصادية في دول المشروع الطائفي الإيراني، وانتشار الفساد الاقتصادي، وتراجع مستوى المعيشة.

وانعكست أصداء الاحتجاجات الشعبية في كل من العراق ولبنان على بقية شؤون الحالة الإيرانية، كالتالي:

في الشأن الداخلي، على المستوى الآيديولوجي: أرادت إيران استثمار المسيرات الأربعينية السائرة إلى كربلاء العراقية في دعم المكوِّن الشيعي الموالي لإيران في العراق، وبالغت في حشد الأعداد الموجَّهة مِن قِبلها للمشاركة في ذكرى أربعين مقتل الحسين بن علي رضي اللّه عنه،

فأعلنت أن عددهم الحالي يتجاوز عشرين مليونًا، وجعلت من وزير دفاعها أمير حاتمي رئيسًا للمسيرات الكربلائية وكأنه جيش حربيّ موجَّه لترسيخ الهيمنة الإيرانية في العراق. وقد استغلَّت أحداث ذكرى كربلاء في إظهار التنسيق الكامل بين القيادات العسكرية الإيرانية مع قادة الحشد الشعبي في العراق، في رسالة واضحة للمحتجّين بأن للميليشيات الشيعية العراقية انتماءات خارج الحدود يمكن أن تستند إليها إذا ما تعرَّضت لمحاسبات سياسية. هذا على الجانب الحركي، أما على الجانب التنظيري الآيديولوجي فقد عمدت القيادات الدينية الإيرانية، وعلى رأسها المرشد الإيراني علي خامنئي، إلى الاستناد إلى آراء فقهية ترفض الخروج على الحاكم والتظاهر ضده، وتتهم المحتجّين بالعمالة وتلقّي الدعم الخارجي. هذا التعامل الذي عمدت فيه النخبة الإيرانية الاستناد إلى آراء الشيخ فضل الله نوري الذي رفض أفكار الثورة الدستورية والحياة النيابية، بما فيها من مشاركة شعبية، يناقض ما اعتمدت عليه المؤسسة الدينية الإيرانية عند إبداء الرأي في ثورات الربيع العربي في الدول العربية السنّية، إذ أيَّدت الاحتجاجات الشعبية، الأمر الذي يوضح فداحة التناقض في التعامل الإيراني مع الاحتجاجات الشعبية، فهي مرحَّب بها إذا كانت ضد حكومات رافضة للتغلغل الإيراني، ومرفوضة إذا كانت ضد حكومات داعمة للنفوذ الإيراني.

وعلى المستوى السياسي تتصاعد كثافة الترتيبات السياسية داخليًّا مع اقتراب موعد إجراء الانتخابات البرلمانية الإيرانية، كما هي الحال مع كل استحقاق انتخابيّ في إيران تتعالى المخاوف من مبالغة مجلس صيانة الدستور في قراراته الاقصائية واستبعاد أعداد كبيرة من المتقدمين للترشح تحت دعاوى عدم كفاية الولاء للجمهورية الإيرانية، على نحو يضعف البرلمان القادم ويجعله أداة تأييد لسياسات المرشد علي خامنئي، لذا وجَّه الرئيس الإيراني حسن روحاني انتقادًا ضمنيًّا لأداء مجلس صيانة الدستور بمدحه الانتخابات التشريعية الأولى في عهد الجمهورية، التي جرت دون وجود مجلس صيانة الدستور وقواعده الاقصائية. وهو مؤشر على اندلاع موجات من الرفض لدور مجلس صيانة الدستور في هندسة الانتخابات الإيرانية.

وعلى المستوى الاقتصادي كانت لتصريحات الرئيس الإيراني حسن روحاني عن تحسن مؤشرات الاقتصاد الإيراني في عام 2019م أصداء واسعة داخليًّا وخارجيًّا، كونها تغاير ما يشعر به المواطن الإيراني وما هو متوقع عالميًّا نظرًا للعقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران من قِبل الولايات المتحدة، وفي عرض لبعض مؤشرات الأداء للاقتصاد الإيراني تبيَّن قدر كبير من المغالطات المحاسبية والإحصائية التي أدت إلى إطلاق روحاني لمثل هذه التصريحات، وإن كان هناك تحسن فعليّ في سعر صرف العملة الإيرانية في مواجهة الدولار فهو يُعزى إلى فرض قيود على الواردات وتنفيذ قواعد نظام «نيما» لإدارة إيرادات النقد الأجنبي، لكن إجمالًا كان الانخفاض نسبيًّا ولا يعوض الارتفاعات السابقة التي حدثت بعد تطبيق العقوبات الاقتصادية الأمريكية.

وعلى المستوى العسكري تسعى إيران لعقد اتفاقات لاستيراد كميات ضخمة من الأسلحة ترقبًا لمرور السنة الخامسة على توقيع الاتفاق النووي ، وبالتالي رفع الحظر عن تصدير السلاح، ولذا أوفدت لإيران اللواء محمد باقري قائد القيادة العامة للقوّات المسلحة الإيرانية إلى الصين، وقدم التقرير قائمة بالأسلحة المتوقع أن تسعى إيران إلى شرائها في حال التمكن من رفع الحظر المفروض عليها في مجال استيراد الأسلحة، وبخاصة الطائرات المسيرة المتطوّرة والدبابات القتالية الرئيسية، فضلًا عن الزوارق السريعة والقطع البحرية الأكبر. وعلى الجانب الآخر سوف تكون إيران قادرة على تصدير السلاح بعيدًا عن التهريب لعدد من الدول والميليشيات المسلحة، مما يجعل منطقة الشرق الأوسط مرشحة لمزيد من الاضطرابات واندلاع الصراعات المسلحة

في عدد من الدول.

وفي الشأن العربي من العراق إلى لبنان بات المشروع الإيراني محاصَرًا بعدما انتفض الشعبان العراقي واللبناني طيلة أكتوبر 2019 -وما زال- ضد ما وصفه المحتجّون العراقيون واللبنانيون بالسيطرة الإيرانية على المعادلة العراقية واللبنانية، فتحولت مدن ومحافظات الظهير الشيعي للمشروع الإيراني التوسعي وممن تصفهم إيران بالمستضعفين، التي خططت لها إيران لأن تكون نواة لتوسيع النفوذ في المنطقة الشرق-أوسطية، والتي طالما افتخرت إيران ببسط سيطرتها عليها، إلى فاجعة كبرى وتحدٍّ جديد من نوعه أمام صُنّاع القرار في إيران، إذ جاءت الضربة لإيران قاسية وموجعة من أبناء هذا الظهير، جعلت المرشد علي خامنئي يصف الاحتجاجات بالفوضى والمحتجّين بمثيري الشغب، وذلك بإعلان المحتجّين، خصوصًا من الأجيال الشابة الجديدة، الوقوف في وجه النزعة الطائفية التي لطالما استغلّتها إيران لصالحها لتمرير مخططاتها. وهذه ورقة رابحة يجب توظيفها واستثمارها ضد إيران لتغيير أدواتها وتبديل استراتيجياتها تجاه المنطقة العربية خاصة، والشرق-أوسطية عامة، إذ باتت المشروع الإيراني محاصَرًا في إحدى أهمّ دولتين عربيتين في المشروع التوسعي من ناحية، ومن العقوبات الدولية المفروضة عليها من ناحية ثانية، ومن عزلتها الدولية من ناحية ثالثة.

وفي الشأن الدولي تواصل الولايات المتحدة استراتيجية الضغوط القصوى بقصد إجبار إيران على تعديل سلوكها وتعديل الاتفاق النووي، ونفذت الولايات المتحدة خلال شهر أكتوبر 2019 سلسلة جديدة من العقوبات تتسم بالدقة وتتبع مصادر غسل الأموال وتهريب النفط وقطاع الإنشاءات التي يمكن أن تستخدم أنشطتها في بناء منشآت نووية. كما سعت الولايات المتحدة إلى تحقيق إجماع دوليّ على خطورة إكمال الاتفاق النووي لعامه الخامس نظرًا لرفع القيود على صادرات الأسلحة لإيران في هذا التوقيت، كما اتخذت عددًا من الإجراءات من شأنها تعزيز وجودها العسكري في منطقة الخليج. وعلى الجانب الآخر هددت إيران بتنفيذ المرحلة الرابعة من تخفيض التزاماتها النووية، وأعلنت عن بدئها في إنتاج أجهزة طرد مركزيّ أكثر تطوّرًا مما كان لديها.

وإلى جوار استراتيجية الضغوط القصوى التي تطبقها الولايات المتحدة، ما زالت الوساطات الدولية تسعى إلى نزع فتيل اشتعال الحرب في الشرق الأوسط بعد الهجوم على المنشآت النفطية السعودية في «أرامكو»، وكانت زيارة رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان لكل من إيران والمملكة العربية السعودية في ذلك الإطار، وإن كانت الوساطة الباكستانية لم تحقق الوصول إلى قدر من تهدئة الأوضاع، لكنها بلا شك تعكس عدم رغبة الفواعل الدولية والإقليمية في توتير الأوضاع نظرًا لفداحة ما ستخسره المنطقة والاقتصاد العالمي في حالة اندلاع حرب جديدة في منطقة الخليج.

الشـــأن الداخلـــي

سادت حالة من الهدوء الحذِر على مستوى التفاعلات الإيرانية الداخلية خلال شهر أكتوبر ٢٠١٩م، وكان حدث الإعداد لمسيرات كربلاء المتوجهة إلى العراق الحدث الأبرز على الساحة الداخلية لتوفير الدعم المعنوي للميليشيات المسلحة العراقية الموالية لإيران، وإظهار شدة تمسك طهران بالهيئة الحاكمة في العراق ولبنان، لكن سياسيًّا على الرغم من اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية في فبراير ٢٠٢٠، فإنّ الزخم الانتخابي المعتاد للانتخابات البرلمانية ما زال غير ملحوظ إلا بتصريحات الرئيس حسن روحاني التي لمح فيها إلى الدور السلبي لمجلس صيانة الدستور، وأن عدم وجوده أفضل في العمليات الانتخابية. وقد يُعزى عدم ظهور الاستعدادات الكافية لإجراء الانتخابات إلى إفلاس الحياة السياسية الإيرانية وعدم القدرة على إنتاج منافسات سياسية بين تيارَي المحافظين والإصلاحيين مثلما كانت الحال في الماضي، نظرًا لرفض قطاعات عريضة من الشارع الإيراني لكلا الفريقين، فما زالت الأجواء القمعية التي سادت إيران في أثناء الاحتجاجات الشعبية في عامي ٢٠١٧م و٢٠١٨م وحالة الرفض لعموم رجال النظام الإيراني تحول دون مشاركة سياسية فعالة في الانتخابات التشريعية القادمة، ويبقي الهاجس الأساسي لدى النظام الإيراني هو السعي لرفع قدراته العسكرية بالاستفادة من رفع الحظر عن واردات إيران من الأسلحة، على الرغم من الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعيشها إيران، وحتى وإن صدرت تصريحات من الرئيس الإيراني حسن روحاني تشير إلى تحسُّن نسبيّ في الأوضاع الاقتصادية.

الملـــف الآيديولوجـــي

يرصد هذا الملف التطوّرات الآيديولوجية في الساحة الإيرانية خلال شهر أكتوبر، وأثر تلك التطوّرات على الفواعل الداخلية في الحوزة والدولة. والموضوع الذي يتناوله ملف هذا الشهر هو مسيرة الأربعين التي شغلت الرأي العام السياسي والديني الإيراني طيلة هذا الشهر.

أولًا: مسيرة الأربعين.. إيران والتوظيف السياسيّ

في العشرين من شهر صفر من كل عام تتحرك جموع من الإيرانيين وغيرهم من أتباع المذهب الشيعي في العالم الإسلامي إلى كربلاء، لزيارة مرقد الحسين في ذكرى وفاته[1]، ويذهب معظمهم سيرًا على الأقدام.

وأفادت بعض التقارير الصادرة عن هيئة أوقاف أبو الفضل العباس بأنّ زوّار الأربعين هذا العام بلغ عددهم ما يقرب من 15 مليون شخص هذا العام[2]، في حين ضخّم خطيب جمعة طهران إمامي كاشاني هذا العدد ليصل إلى عشرين مليون شخص[3]. ولا شك أن كلا التقديرين مبالغ فيه إلى حدّ كبير، لكن على كل حال أدى احتشاد الجموع وضعف التنظيم إلى وَفَيَات جرَّاء الزحام، فقد مات من الزوار الإيرانيين وحدهم -وفقًا للقنصلية الإيرانية في كربلاء- أكثر من مئة شخص[4].

(1)- «بي بي سي»، زيارة الأربعين.. لماذا يتوافد الملايين إلى كربلاء؟، 18 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/Yv5l5

(2)- وكالة «مهر» للأنباء، عدد زوار أربعينية الإمام الحسين عليه السلام يبلغ أكثر من 15 مليونًا و229 ألف شخص، 21 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/RT17K

(3)- وكالة أنباء «فارس»، حضور 20 ميليون نفر در راهپيمايى اربعين براى دشمن سنگين است، لذا ايجاد مزاحمت مىكند. https://cutt.us/9Gvj1

(4)- «دنياي اقتصاد»: فوت 104 زائر ايرانى در ايام اربعين، https://bit.ly/2BvNvFq

وقد حرصت نخب الحكم في إيران على توظيف هذا الحدث الضخم لتعزيز صورة الرعاية الإيرانية للجماعة الشيعية.

فعلى مستوى المؤسسة العسكرية الإيرانية، شارك وزير الدفاع الإيراني أمير حاتمي بنفسه في مسيرة الأربعين هذا الشهر، وزار مدينتَي النجف وكربلاء، وأجرى اتصالات خلال مشاركته في المسيرة بوزير الداخلية العراقي ياسين الياسري، ورئيس أركان الجيش العراقي عثمان الغانمي، ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، أعرب فيها عن شكره للمسؤولين العراقيين على حسن الضيافة. واعتبر أنّ المسيرة العظيمة في أربعينية الحسين «تمهِّد الأرضية للحضارة الإسلامية الحديثة في العصر الحاضر، فالشعوب تواقة للحرية»[1].

وصرّح القائد العام للحرس الثوري اللواء حسين سلامي في أثناء تفقُّده لمنفذ شلمجة الحدودي جنوب غرب إيران، بأنّ كلّ الأجهزة الأمنية الإيرانية متأهِّبة ومستعدّة لإجراء مراسم زيارة الأربعين[2]، في حين صرّح رئيس القيادة العامّة للقوّات المسلّحة، اللواء محمد باقري، بأنّ «التجمّع العالمي الكبير في زيارة الأربعين جسّد قوّة ووحدة المسلمين وأخوّتهم»، ووجّه رسالة إلى رئيس أركان الجيش العراقي يثمن فيها دور القوّات المسلّحة العراقية وحكومة العراق وشعبه ومرجعيته لاستضافة الزوار وخدمتهم[3]. وعلى مستوى رئاسة الجمهورية فقد أرسل الرئيس الإيرانيّ حسن روحاني رسالة إلى الرئيس العراقي برهم صالح، ورئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي، أعرب فيها عن شكره للعراق حكومة وشعبًا ومرجعية على حسن استضافة العراق لزوّار الحسين، وقال إنّ مسيرة الأربعين هذا العام أثبتت التلاحم بين الشعبين العراقي والإيراني[4].

ونلاحظ من خلال هذه التصريحات وغيرها أنّ ثمة اهتمامًا إيرانيًّا بهذا الحدث على كل

---

(1)- قناة «العالم»، وزير الدفاع الإيراني: مسيرة الأربعين أعمت عيون أعداء الإسلام، 19 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/5b819

(٢)- «مهر» للأنباء: اللواء سلامي: الأمن الإيراني مستعد لإقامة مراسم الأربعين بأقصى درجة من الاستقرار، 14 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/07Qmu

(3)- «مهر» للأنباء: اللواء باقري: التجمع العالمي الكبير في زيارة الأربعين جسّد قوّة ووحدة المسلمين وأخوّتهم، 23 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/IXH7m

(4)- «مهر» للأنباء: روحاني في رسالة إلى الحكومة العراقية، مسيرة الأربعين أكبر وسيلة إعلامية للتعريف عن نهضة عاشوراء، 20 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/4Y3K

المستويات والمؤسسات، ولا يخلو هذا الاهتمام الإيرانيّ مع مسيرات الأربعين من محاولة توظيف للشعائر المذهبية، بغية تحسين الوجه الإيرانيّ لدى عموم الشيعة، وخلق توجّه شيعيّ عامّ بأبوية الدولة الإيرانية ورعايتها لشعائر التشيُّع، ومراقده وبيئته، وتخليق حواضن مذهبية صُلبة بين الجماعة الشيعية في العراق والدول المجاورة، إذ تدرك إيران أن مسيرة الأربعين هي التجمّع السنوي للشيعة في العالم عمومًا، وفي دول المنطقة خصوصًا، ومِن ثَمّ تعمل على تحقيق أكبر قدر من المكاسب لصالحها في هذا الحدث.

فهناك صراع على تمثيل الدين والمذهب، وتسعى إيران بقوّة لاحتكار هذا التمثيل، وتسعى جاهدةً لتكون الحاضنة للتشيُّع والجماعة الشيعية في العالم، لأهداف سياسية باتت معلومة.

ويُمكن رصد كيفية تعامُل الإيرانيين مع مسيرة الأربعين، ومحدّدات التوظيف والاستغلال، من خلال النقاط التالية:

1- **التنسيق بين الحرس الثوري وقوّات الحشد الشعبي**: ففي تصريح للواء باقري رئيس هيئة الأركان الإيرانية، قال: «حرس الثورة ومن خلال التعاون والتنسيق مع الحشد الشعبي والإخوة العراقيين سيبذل قصارى جهوده من أجل إقرار النظام والأمن وتقديم خدمات الإسكان والصحة والتغذية لزوار الأربعينية»[1]. وهذا التنسيق يُتيح للإيرانيين التغلغل في بنية المؤسسات الأمنية العراقية، ومِن ثَمّ توجيهها وفقًا للأجندة الإيرانية.

2- **القيام على خدمة المشاركين في المسيرة**: فحسب بعض المصادر فإنّ الدبلوماسيين الإيرانيين سعوا إلى تحديد المشكلة في العَلاقات الإيرانية-العراقية بعد مظاهرات العراقيين أول أكتوبر 2019م ضد الحكومة وضد الفساد، وهتافات بعضهم ضد إيران محمِّلين إياها سبب تردّي الأوضاع في البلاد، فخرج الدبلوماسيون الإيرانيون بنتيجة مفادها أنّ تحالف إيران مع الساسة العراقيين لم يرقَ إلى مستوى الدعم الشعبي، ولذا لجأت إيران إلى تبييض صورتها في مسيرة الأربعين، عبر مساعدة المشاركين، بالمال، والخيام، والأطعمة الجاهزة، والحمامات المتنقلة[2].

3- **التذكير بالمشاركة في الحملة ضد داعش**: ففي مسيرة الأربعين وصفت لوحة إعلانية كبيرة تلك الميليشيات المدعومة من إيران على أنهم «رفاق الإمام الحسين المعاصرون»، وأصدر قائد فيلق القدس قاسم سليماني شريط فيديو يظهر فيه وهو يمشي في ساحات القتال في الموصل، وهذا تذكير واضح بدور إيران في الحرب ضد داعش هناك. ثم ينتقل المقطع المرئي إلى عرض جوي للقبة الذهبية وعمودين من ضريح كربلاء، قائلًا: «لو كانوا قد وصلوا إلى مزاراتنا لكانوا قد دمّروها تمامًا»، وينتهي الفيديو بحشود الأربعين في مسيرة إلى كربلاء[3].

لكن وبالقرب من لوحة إعلانات الميليشيات التابعة لإيران، كان هناك عرض لملصقات كبيرة للمتظاهرين العراقيين الذين قُتلوا خلال الأسبوعين الأخيرين عندما قاموا بمسيرات سلمية ضد الفساد في الحكومة العراقية.

توظيف الإيرانيين لمسيرة الأربعين سياسيًّا يأتي ضمن أُطر ومحدّدات استراتيجية لدى النخبة

---

(1)- قناة «العالم»: رئيس الأركان الإيرانية: التعاون بين الحرس الثوري والحشد الشعبي لتوفير الأمن لزوار الأربعين، 21 سبتمبر 2019م.
https://cutt.us/GYAaO

(2)- And: New York Time: A Shiite Holiday Turns Into a Test of Iranian Power in Iraq, Oct. 22, 2019, https://www.nytimes.com/2019/10/22/world/middleeast/iraq- iran- pilgrimage- shiite.html

(3)- And: New York Time: A Shiite Holiday Turns Into a Test of Iranian Power in Iraq, Oct. 22, 2019, https://www.nytimes.com/2019/10/22/world/middleeast/iraq- iran- pilgrimage- shiite.html

الإيرانية، أهمُّها: الإدراك الاستراتيجي لدى تلك النخبة بأهمية العراق، إذ هي البوابة الرئيسية لنفوذها غربًا، وهي كذلك البيئة الهشّة نتيجة الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية، بالإضافة إلى كونها تمثل العمق الاستراتيجي مذهبيًا وسياسيًّا وجغرافيًّا للدولة الإيرانية. أيضًا إدراكهم أنّ مثل هذا التوظيف يضمن تخليق حواضن شعبية تساهم في توطيد النفوذ الإيرانيّ، وتدين بالولاء للدولة الإيرانية دون الدولة الوطنية، وتكون بمثابة الكتلة الصلبة التي تدافع عن طهران ومصالحها، من قلب بغداد.

ثانيًا: مسيرة الأربعين.. المظاهرات الشيعية والخلاف مع الإيرانيين

برز على السطح خلاف بين الإيرانيين والعراقيين، على مستويين: المستوى الرسمي ومستوى القواعد، فعلى المستوى الرسمي ثمة نُخَب عراقية دينية وسياسية تُقلقها التدخّلات الإيرانية في الشأن العراقي الداخلي، وطريقة التعامل مع العراق كتابع لخطّ طهران وليس كحليف استراتيجيّ. وعلى مستوى القواعد ثمة نظرة سلبية تشكَّلت وبدأت تتسعً من قِبل العراقيين إزاء طهران وحلفائها الداخليين، وصلت إلى ذروتها في المظاهرات الأخيرة التي شهدت هتافات ضد طهران، وتمزيق صور المرشد الإيراني في كربلاء نفسها[1]، إحدى أكبر العواصم المركزية الكبرى للتشيُّع.

وفي تلك الانتفاضة وفي حين كان الشعب العراقيّ بكلّ أطيافه يتظاهر في كل المدن العراقية ضد الحكومة، تعامل الإعلام الرسمي الإيرانيّ والنخبة الدينية الرسمية في إيران مع انتفاضة العراقيين باستخفاف شديد، بل واتهم المرشد الإيرانيّ المتظاهرين في العراق ولبنان (ومعظمهم من الشيعة) بالعمالة للجهات الأجنبية[2].

---

(1)- «الحرة»: محتجّون يحاصرون القنصلية الإيرانية في كربلاء.. وفيديو لرفع العلم العراقي، 26 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/XVxWs

(2)- الموقع الرسمي للمرشد الإيراني علي خامنئي، الإمام الخامنئي: تحقّق مطالب النّاس المحقّة في العراق ولبنان متاح ضمن الأطر القانونية حصرًا، 30 أكتوبر 2019م. http://arabic.khamenei.ir/news/4806

وحسب بعض المسؤولين الإيرانيين ورجال الدين فإنّ تلك المظاهرات تقف وراءها فواعل دولية وإقليمية بغية عرقلة مسيرة الأربعين، وجاء هذا على لسان رئيس السلطة القضائية الإيرانية إبراهيم رئيسي ومسؤولين آخرين[1].

ونفس الفكرة رددها، بعد اندلاع المظاهرات بأربعة أيام فقط، خطيبُ جمعة طهران، كاشاني، في خطبة الجمعة، فقال: «إنّ العدوّ عقد العزم على مواجهة الأمّة الإسلامية، أمريكا والصهيونية... تستهدفان الأربعينية والعراق وتثيران أزمة، لأنه من الصعب عليهما قبول وجود ملايين في كربلاء»[2].

وقد انسحب هذا الموقف الإيراني على المزاج الشعبيّ العراقي، إذ برز هذا الخلاف داخل مسيرة الأربعين بين جمهور من البلدين[3].

وهذا الخلاف الذي تشكّل وازداد على المستويات الشعبية يُشكّل خطرًا حقيقيًّا على نفوذ النخبة الدينية الإيرانية في العراق، إذ إنها ولأول مرة منذ سقوط حزب البعث تواجه انتفاضة من داخل البيت الشيعي موجَّهة ضد وكلائها المحليين، وضد نفوذها ومصالحها في بغداد.

هذه الصحوة الشعبية الشيعية ضد النفوذ الإيراني تُعزّز نظرية تآكل وهشاشة الهلال الشيعي الذي عملت إيران على تشكيله منذ عام 1979م، جرّاء المواجهة الشيعية-الشيعية، وكشفت تلك الأزمات الأخيرة أنّ ذلك الهلال لم يكن صُلْبًا بالقدر الكافي نتيجة اعتماده على عناصر ميليشياوية وعسكرية، دون غطاء شعبيّ حقيقيّ، الذي لن يتأتى إلا بإصلاحات اقتصادية وسياسية عميقة في بنية النظام السياسيّ العراقيّ نفسه، والذي إن حدث فستفقد إيران موقعها في العراق كفاعل رئيسيّ، ومِن ثَمّ ففي كلتا الحالتين يبقى المشهد متأزمًا للإيرانيين.

(1)- قناة «العالم»: رئيسي: الفتنة السعو-أمريكية في العراق تستهدف مسيرة الأربعين، 7 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/xhaJt

(2)- «عربي 21»: خطيب الجمعة بطهران يتحدث عن أهداف مظاهرات العراق، الجمعة 4 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/Sj5Hc والأناضول: خطيب جمعة طهران يتهم أمريكا وإسرائيل بالوقوف وراء مظاهرات العراق، 4 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/8nKDI وقناة «العالم»: خطيب طهران: العدو لا يريد راية الحسين (ع) خفاقة، 4 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/4qlPL

(3)- «عربي بوست»، مواجهة بكربلاء.. كيف ردَّ العراقيون على صورة الحسين التي علّقها الإيرانيون في مسيرة الأربعين، 24 أكتوبر 2019م. https://cutt.us/5WOdc

And: New York Time: A Shiite Holiday Turns Into a Test of Iranian Power in Iraq, Oct. 22, 2019, https://www.nytimes.com/2019/10/22/world/middleeast/iraq- iran- pilgrimage- shiite.html

خلاصـــة

تواجه إيران تحديات كبيرة في بنية النسيج المذهبي والطائفي الذي عملت عليه منذ عقود في العراق ولبنان، وضخمّت منه حتى فوجئت بهشاشة الهلال الشيعي الذي روّجت له كثيرًا. ذلك أنها اعتمدت على نخب محلية طائفية دون اشتراط الكفاءة، فكان أهل الثقة مقدَّمين على أهل الكفاءة في كلّ المراحل. ومِن ثَمّ ازدادت الأوضاع الاقتصادية سوءًا جرّاء السياسات غير المسؤولة وغير الشفافة لتلك النخب، حتى انتفضت الجماهير ضد الوكلاء المحليين وضد الوليّ الفقيه في طهران، فسارعت إيران إلى تبييض صورتها في مسيرة الأربعين باتخاذ موضع الأبوية والرعاية للمذهب، بل واتهمت قوى خارجية باستهداف مسيرة الأربعين عبر تمويل ودعم وتأجيج تلك المظاهرات.

مستقبلًا، ليس من الوارد أن تكفّ طهران عن سياسة التوظيف للمذهب والشعائر، وليس من الوارد أيضًا أن تتحسن أوضاع الجماعة الشيعية في العراق من الناحية الاقتصادية والسياسية، ومِن ثَمّ فسوف تستمرّ المواجهة الشيعية-الإيرانية على عدة أصعدة، وليس من المستبعد زيادة العنف الإيراني-الميليشياوي ضد المتظاهرين الشيعة، باعتبارهم خارجين على القانون، وهو ما لمّح إليه خامنئي أخيرًا.

الملـــف السياســـيّ

تصاعد مخاوف الإصلاحيين والمحافظين على السواء من قيام مجلس صيانة الدستور باستبعاد العديد من المرشحين في الانتخابات البرلمانية القادمة، والتي تبقَّى على إجرائها ثلاثة أشهر ونيِّف، شجَّع الرئيس الإيراني حسن روحاني على توجيه انتقاد ضمنيّ لأداء مجلس صيانة الدستور خلال الانتخابات المختلفة التي شهدتها إيران حتى الآن، وذلك بالإشادة بأول انتخابات برلمانية شهدتها إيران عقب سقوط نظام الشاه في 1979، إذ اعتبر أن البرلمان الذي نتج عن تلك الانتخابات كان الأفضل على الإطلاق في تاريخ الثورة الإيرانية رغم عدم وجود أجهزة رقابية كمجلس صيانة الدستور في تلك الفترة، داعيًا إلى عدم الاعتقاد بأنه كلما كانت الترشيحات أكثر تشددًا، كانت النتائج أفضل[1].

أولًا: دلالات إشادة الرئيس روحاني بأول برلمان

تحمل إشادة الرئيس روحاني بالمجلس الأول كثيرًا من الدلالات، أهمّها توجيه تحذير إلى مجلس صيانة الدستور الذي يهيمن عليه المحافظون من فرض الرقابة المشددة على المرشحين في الانتخابات البرلمانية القادمة والمقررة في فبراير 2020، فضلًا عن طمأنة أنصاره الإصلاحيين الذين يخشون فقدان تعادلهم البرلماني وهيمنة المتشددين على البرلمان المقبل بسبب فشل روحاني في تحقيق الوعود التي قطعها على الشعب الإيراني، والاستياء الشعبي الواسع من الظروف الاقتصادية الصعبة جرّاء السياسات الاقتصادية والعقوبات الأمريكية، وبالتالي يمكن اعتبار أن الإشادة بأول برلمان وأول انتخابات بعد الثورة بمثابة خطوة استباقية من الرئيس روحاني الذي يخشى من إقدام مجلس

(1)- «ستاره صبح»، روحانی به‌جای حرف دو پهلو از قانون اساسی پاسداری کند، تاریخ الاطلاع: 30/10/2019
https://soo.gd/iEaU

صيانة الدستور على رفض أهلية أنصاره من القيادات الإصلاحية والمعتدلة خلال مرحلة الفحص التي تسبق الانتخابات البرلمانية المزمع إجراؤها في الحادي والعشرين من فبراير 2010. ولعل ما يبرهن هذا الفرض هو تغريدة حسام الدين آشنا مستشار الرئيس، التي قال فيها إن «الرئيس روحاني يشعر بالقلق على الأرجح من انعدام النزاهة والحياد لدى هيئات الرقابة عند فحص المرشحين للانتخابات البرلمانية، ولا يوجد خلاف حول أولئك الذين لديهم سوابق سيئة، لكن الأمر يتعلق باستناد الهيئات الرقابية على اتهامات ومزاعم غير مبررة واتهامات لم تثبت بعدُ في رفض أهلية المتقدمين للترشح في الانتخابات»[1].

مجلس صيانة الدستور الذي يكثر الحديث عنه قُبيل كل انتخابات تجرى في إيران، ويوصف بأنه القلعة الحصينة للمحافظين، ويتَّهم بالحدّ من قدرة البرلمان على إصدار التشريعات، يُعَدّ أهمّ هيئة رقابية في النظام الإيراني ويشرف على جميع الانتخابات ويفحص مؤهلات وأهليات المرشحين لانتخابات البرلمان والرئاسة ومجلس الخبراء، وله الحق في تفسير نصوص الدستور وتحديد مدى مطابقتها للشريعة الإسلامية والدستور الإيراني. ويتشكل من 12 عضوًا، بينهم 6 رجال دين بدرجة فقيه، يعيّنهم المرشد الأعلى علي خامنئي مباشرة، و6 حقوقيين يرشحهم رئيس

(1)- كاوش، جمله‌ای از رئیس‌جمهور که حاشیه ساز شد، تاریخ الاطلاع: 30/10/2019
https://2u.pw/LC0xK

السلطة القضائية ويتم تعيينهم بعد مصادقة البرلمان وموافقة المرشد.

ويقوم الجدل الرئيسي بين التيارات السياسية في إيران حول إشراف مجلس صيانة الدستور على تحديد أهلية المرشحين للانتخابات الرئاسية والبرلمانية وانتخابات مجلس الخبراء، وليس ضد إشرافه على الانتخابات. وسبق أن وُجّهت انتقادات عديدة إلى هذا المجلس لرفضه أهلية عدد كبير من المرشحين وحرمانهم من الترشح في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية وانتخابات مجلس الخبراء، منهم رؤساء سابقون كالراحل هاشمي رفسنجاني والرئيس السابق محمود أحمدي نجاد، وسبق للتيار الإصلاحي خلال رئاسة محمد خاتمي أن دعا إلى إلغاء إشراف مجلس صيانة الدستور على أهلية المتقدمين للترشح في الانتخابات سواء بالرفض أو بالموافقة.

ثانيًا: ردود أفعال المتشددين

تصريحات الرئيس روحاني أثارت ردود أفعال شديدة من قِبل التيار المتشدد، كان أولها تعقيب أمين مجلس صيانة الدستور أحمد جنتي على هذه التصريحات بالقول إنّ السبيل الوحيدة للخروج من الأزمات هي العمل بالقانون والاهتمام بحلحلة المشكلات العديدة التي يعاني منها المواطن، والامتناع عن افتعال الأمور الفرعية، لأن الشعب لن يرضى بتقديم الذرائع والحجج. وفي رسالة يبدو أنها موجهة إلى الرئيس روحاني، قال جنتي إنّ مجلس صيانة الدستور لن يركن للضغوط السياسية التي تمارس ضده، ولن يتراجع عن واجباته القانونية، وإنّ مجلس صيانة الدستور لن يسمح بتضييع حق المستوفين للشروط القانونية لدخول البرلمان والراغبين في خدمة الشعب[1].

هذا، بينما وجّه المتحدث باسم مجلس صيانة الدستور، عباس كدخدائي، انتقادات لاذعة إلى روحاني، بالقول «إنَّ تصريحات روحاني، الذي أقسم أن يحافظ على الدستور، تتجاهل الدستور وقانون الانتخابات، وكان يتوقع منه أن يحثّ الجميع على احترام الدستور وتنفيذه، لا أن يدعو المؤسسات المعنيّة إلى عدم الالتزام به». وبرّر أهمية الدور الرقابي لمجلس صيانة الدستور بالقول إنّ دخول أشخاص لديهم سوابق فساد أخلاقيّ واقتصاديّ إلى المجلس يتعارض مع حقوق المواطنين، وإنّ مجلس صيانة الدستور كونه المراقب والمسؤول عن الانتخابات فإنه سيقوم بمهامّه طبقًا للقانون[2].

أما أحمد خاتمي، عضو مجلس خبراء القيادة والمعروف بولائه الشديد للمرشد علي خامنئي، فقد دافع بضراوة عن مجلس صيانة الدستور، ووجّه اتهامًا مباشرًا إلى روحاني بالقول: «إنه يشتمّ من كلام روحاني رغبته في تقسيم المجتمع الإيراني إلى قطبين» على حد تعبيره، واعتبر أن الانتخابات ليست خصومة بين التيارات السياسية المختلفة، والإشراف عليها يتعلق بسمعة النظام، وأن الديمقراطية لا تعني تسجيل أسماء المترشحين في الانتخابات دون أي مساءلة[3].

ثالثًا: ما الذي يميز البرلمان الأول عن بقية البرلمانات؟

---

(1)- شورای نگهبان با فشارها از عمل به وظایفش عقب نمی‌نشیند، تاریخ الاطلاع: 30/10/2019
https://2u.pw/m2atr

(2)- خبرگزاری ایسنا، واکنش سخنگوی شورای نگهبان به اظهارات امروز رییس‌جمهور درباره انتخابات، تاریخ الاطلاع: 30/10/2019
http://v.ht/A9WK

(3)- شبکه خبر، خاتمی: تحقیر قانون در شان هیچ مسئولی نیست، تاریخ الاطلاع 4/11/2019
https://2u.pw/YPVlk

يعتبر البرلمان الإيراني (مجلس الشورى الإسلامي) من أهمّ المؤسسات التي تشكلت بعد قيام الجمهورية الإيرانية، إذ أُجريت أول انتخابات برلمانية في مارس 1980، أي بعد عام من إعلان الجمهورية. أهمّ ما ميز ذلك البرلمان هو تنوّع آراء الأعضاء بصرف النظر عن أفكارهم وآيديولوجياتهم. كما أن قلة الخلافات والنزعات الإقصائية أدت إلى ظهور أفكار متنوعة جعلت منه برلمانًا مستقلًا ومدافعًا عن الشعب، عكس البرلمانات اللاحقة التي تتسم في مجملها بمحدودية التأثير وعدم الفاعلية نتيجة للرقابة المشددة التي يفرضها مجلس صيانة الدستور على المتقدمين للترشح في الانتخابات البرلمانية وحرمانه للكفاءات الوطنية من الوصول إلى البرلمان، فضلًا عن تدخّله في القرارات والقوانين التي يقرّها ويسنّها البرلمان، والتي أدت إلى نشوب خلافات كبيرة بينه وبين البرلمان وصلت إلى حدّ تدخّل مجمع تشخيص مصلحة النظام في كثير من الأحيان لفض الخلاف بينهما[1].

عدد كبير من أعضاء البرلمان الإيراني السابقين كان لهم مواقف مشابهة لموقف الرئيس روحاني، منهم رضا كرمي عضو البرلمان الإيراني في خمس دورات سابقة، يرى أن أعضاء البرلمان السابقين كانوا من بين النخبة وأن ما زاد من قوة ذلك البرلمان هو ترؤسه من قِبل الراحل هاشمي رفسنجاني، فضلًا عن توافق أعضائه على حل الأزمات العديدة التي كانت تواجهها إيران رغم اختلاف الرؤى والأفكار.

أما عضو البرلمان في دوراته الأولى والثانية والعاشرة، شهاب الدين بيمقدار، فيرى أن قوة البرلمان الأول تمثلت في موقف الخميني الداعم للبرلمان ودوره في اتخاذ القرارات المصيرية، فضلًا عن قلة العطلات ورغبة النواب في العمل لحل الأزمات التي كانت تمرّ بها إيران آنذاك، والاجتماعات الأسبوعية التي كان يعقدها الرئيس مهدي بازركان مع أعضاء البرلمان، والسرعة في حل كل القضايا خلال تلك الاجتماعات.

ويرى العضو الأصولي في البرلمان الحالي، أحمد سالك، الذي كان عضوًا كذلك في البرلمان الأول، أن أحد العوامل التي زادت من قوة البرلمان الأول هو تصديه لـ«مجاهدين خلق» وتصويته بعزل الرئيس أبو الحسن بني صدر[2].

تصريحات الرئيس روحاني وانتقاداته الضمنية للدور الرقابي الذي يضطلع به مجلس صيانة الدستور تُظهِر قلقَ الإصلاحيين والمعتدلين من احتمالية أن تشهد فترة ما قبل الانتخابات البرلمانية عمليات إقصاء واستبعاد لعدد كبير من الرموز والناشطين السياسيين الراغبين في نيل عضوية البرلمان الإيراني في دورته الحادية عشرة، لكن التحذيرات الاستباقية المتعدّدة التي وجّهها روحاني وعدد من الإصلاحيين إلى مجلس صيانة الدستور، وحالة السخط الشعبي من سياسات النظام الإيراني، قد تؤدي إلى تعامل المتشددين بحذر شديد في ما يتعلق بموضوع رفض أهلية المرشحين.

---

(1)- خبركزارى جمهورى اسلامى ايران، ويژگى‌هاى ممتاز مجلس أول، تاريخ الاطلاع: 4/11/2019
https://2u.pw/gGPiE

(2)- خبر آنلاين، جدال بر سر خوب يا بد بودن مجلس أول، تاريخ الاطلاع: 5/11/2019
https://2u.pw/4qM29

الملـــف الاقتصـــاديّ

يحلل هذا الملف أبرز القضايا المطروحة على الساحة الإيرانية خلال شهر أكتوبر، ومن أكثر أبرز القضايا المتعلقة بالحالة الاقتصادية الإيرانية ما كشفه تقرير للبنك الدولي صادر في التاسع من شهر أكتوبر عن توقعاته لحالة الاقتصاد الإيراني والمخاطر المستقبلية التي قد تواجهه، إذ توقّع أن يكون هناك انكماش اقتصادي حادّ بنسبة 8,7 %[1] في الاقتصاد الإيراني خلال السنة المالية 2019-2020. وجاءت توقعات البنك في تقريره أكثر تشاؤمًا من التوقعات الصادرة عن البنك في تقرير شهر أبريل الماضي من العام الحالي.

من جانب آخر، وفي مؤتمر صحفي عقده الرئيس روحاني في الخامس عشر من هذا الشهر، أدلى روحاني بتصريحات عدة بشأن الاقتصاد الإيراني وسيره بالطريق الصحيح على عكس ما تكشف التقارير العالمية والداخلية. ما بين تقرير البنك الدولي والمؤتمر الصحفي لروحاني كان هنالك عدة مؤشرات تظهر بالتحديد مدى تطوّر أو تدهور الأداء الاقتصادي الإيراني.

لقد حظيت تصريحات الرئيس حسن روحاني التي أدلى بها في المؤتمر الصحفي، الذي عقد في الخامس عشر من أكتوبر، بشأن سير الاقتصاد الإيراني على الطريق الصحيح، وأن المؤشرات النهائية للاقتصاد ستشير إلى زيادة في الناتج المحلي للبلاد[2]، بكثير من الاهتمام من قِبل النقاد والمحللين الإيرانيين، فقد كانت مجانبة للصواب والدقة في أغلبها. ويعتقد كثير من النقاد أنّ الدافع وراء تصريحات روحاني غير الدقيقة محاولة تهدئة الرأي العام الداخلي في إيران تجاه المحنة الاقتصادية التي تعصف بالبلد.

عانى الاقتصاد الإيراني من التوترات السياسية في عام 2018 المترتبة على خروج الولايات المتحدة من الاتفاق النووي أولًا، ثم فرضها عقوبات اقتصادية في ما يعرف باستراتيجية الضغوط القصوى، التي كان لها تأثيرات واضحة على مستوى

---

(1) Financial Tribune: World Bank Predicts 8.7% Contraction for Iran in Fiscal 2019- 20
https://financialtribune.com/articles/domestic- economy/100303/world- bank- predicts- 87- contraction- for- iran- in- fiscal- 2019- 20

(2)- دولت, شاخص های اقتصادی نشانگر حرکت در مسیر آرامش اقتصادی است, تاریخ الاطلاع: 15/11/2019 http://dolat.ir/detail/329182

الأداء الاقتصادي الإيراني من بداية فرض العقوبات حتى اللحظة. وسوف يركز هذا الملف على استعراض هذه المؤشرات المذكورة في تقرير البنك الدولي والمؤتمر الصحفي لروحاني، وهي خمسة مؤشرات أداء كالتالي: معدلات التضخم، ومعدل البطالة، والنمو الاقتصادي، والصادرات النفطية، وأسعار العملة. وبناءً عليه سينقسم الملف إلى: أولًا/واقع مؤشرات أداء الاقتصاد الإيراني وإحصائياتها، وثانيًا/الأسباب، وثالثًا/التوقعات المستقبلية.

أولًا: واقع مؤشرات أداء الاقتصاد الإيراني وإحصائياتها

معدلات التضخم

في مؤتمره، أشار روحاني إلى أن نسبة التضخم انخفضت من 52% في مايو العام الماضي إلى 43% في نفس الفترة هذا العام، وسوف يستمر معدل التضخم في الانخفاض حتى نهاية العام، وأن هذا التراجع هو إنجاز ونجاح للحكومة الإيرانية، على حدّ زعمه. صحيح أن المؤشر تراجع قليلًا، ولكن مقارنة بالأعوام السابقة ما زال معدل التضخم مرتفعًا. كما أن التراجع ليس بسبب سياسة روحاني وحكومته، وإنما لانخفاض القوة الشرائية للفرد والتي أدت إلى انخفاض التضخم بشكل عام.

يجدر بنا التنويه هنا بأن إيران صُنّفت في المرتبة 135 عالميًّا من أصل 141 دولة[1]، وتم استطلاع مؤشر التضخم لديها ضمن دراسة استقرار الاقتصاد الكلي للدول في تقرير القدرة التنافسية العالمية 2019. فقد صُنّفت إيران كواحدة من أعلى دول الشرق الأوسط تسجيلًا لمعدلات التضخم. ويعود السبب في ذلك إلى وصول نسبة تضخم أسعار المستهلكين إلى 52% على أساس سنوي في مايو 2019، إلى تزايد حالة عدم اليقين الاقتصادي وتوقعات التضخم، وانخفاض قيمة الريال في الاثني عشر شهرًا السابقة.

معدل البطالة

من بين الأمور التي أشار إليها روحاني هي انخفاض نسبة البطالة من 12,3% في عام 2018 إلى 10,5% عام 2019، أي بمعدل انخفاض 1,8%، مما ساهم في تحسين النمو الاقتصادي على حد قوله. والأمر ليس كما صوّره روحاني في خطابة، وإنما لاختلاف طريقة حساب المعدل هذا العام عن الطريقة التي استُخدمت في العام السابق. فوفقًا لمركز الإحصاء الإيراني العام الماضي تم احتساب معدل البطالة للفئة العمرية من 10 سنوات وأعلى[2]، ولكن في هذا العام تم تغيير الفئة العمرية لتكون من 15 سنة وأعلى، والتي بكل تأكيد أدت إلى انخفاض في معدل البطالة، بينما تشير إحصائيات صندوق النقد الدولي إلى أن معدل البطالة ما زال مرتفعًا جدًّا بنسبة 16,8%. وعطفًا على تقرير البنك الدولي فقد انخفض معدل مشاركة القوى العاملة إلى 40,6% على أساس سنوي-يوليو 2019، مما يعكس أثر الركود الاقتصادي على قطاع العمل، بينما معدل البطالة بين الشباب الإيراني يفوق 28% من إجمالي أعدادهم.

---

(1)- Financial Tribune, Iran's Ranking Drops in WEF's Global Competitiveness Index, 30 Coctober 2019, https://financialtribune.com/articles/domestic- economy/100305/irans- ranking- drops- in- wefs- global- competitiveness-index

(2)- خبر كزارى تسنيم, كاهش 108 در صدى نرخ بيكارى: از ادعا تا واقعيت, 27 مهر 1398, http://ksa.pm/nwe

معدل البطالة في إيران من بداية التسعينيات حتى عام 2019 الجاري[1]

Source: International Monetary Fund – World Economic Outlook (Oct 2019)

النمو الاقتصادي

تصريح روحاني بأن الاقتصاد الإيراني يسير بشكل جيّد هذا العام هو صحيح إلى حدّ ما، إذا ما قارناه بحالة الاقتصاد الإيراني في النصف الثاني من عام 2018م، ولكن روحاني لم يذكر أن هذا النمو الإيجابي فقط في النصف الأول من العام الحالي، وسيشهد نزولًا بنسبة 1,5% في النصف الثاني من نفس العام، كما جاء في آخر تقرير صادر عن البنك الدولي، روحاني هنا استند إلى جزء فقط من الإحصائية وتجاهل المتبقي منها.

صعود إيران مرتبة واحدة في تسهيل الأعمال لتصبح في المرتبة 126 بعد أن كانت في المرتبة 127[2] العام السابق هو أحد مؤشرات نموّ الاقتصاد في إيران، كما أشار روحاني في خطابه، ولكن في نفس الوقت لا تزال إيران تحتل مرتبة متأخرة جدًّا مقارنة بالدول المجاورة لها، على سبيل المثال صنفت السعودية في المرتبة 63 هذا العام بعد أن كانت في المرتبة 92 في 2018، ومصر صعدت من المرتبة 120 إلى المرتبة 114 هذا العام، لذلك القول بأن الوضع الاقتصادي لإيران قد تحسن غير منطقي.

من جهة أخرى يشير تقرير البنك الدولي إلى أنه من المتوقع أن ينمو الاقتصاد الإيراني بنسبة 0,5% في غضون العامين القادمين (2020-21 إلى 2021-22)، وأن تكون الضغوط التضخمية معتدلة، لكن معدل التضخم السنوي سيظل أعلى من 20%، وهو رقم أعلى بكثير من التضخم المكون من رقم عشريّ واحد في الفترة بين عامَي 2016-2017 ومقارنة بمعدلات التضخم لدول المنطقة.

---

(1) International Monetary Fund – World Economic Outlook (Oct 2019):
https://www.imf.org/external/datamapper/datasets/WEO

(2) Financial Tribune, Iran's Ease of Doing Business Ranking Improves Slightly, 30 October 2019, https://financialtribune.com/articles/domestic- economy/100488/iran- s- ease- of- doing- business- ranking- improves-slightly

صادرات إيران النفطية

يصعب تحديد حجم الصادرات النفطية الإيرانية أو إحصاؤها على نحو دقيق، فهو أمر ليس بالسهل نظرًا إلى عدم وجود إحصائيات رسمية صادرة عن وزارة النفط الإيرانية. وعلى الرغم من ذلك، أشارت بعض الوكالات المعنية بتتبع صادرات النفط إلى انخفاض صادرات إيران من النفط المسجلة خلال أكتوبر الماضي إلى أقل مستوى لها منذ فرض العقوبات الأمريكية في 2018. فقد بلغ إجمالي صادرات إيران من النفط في شهر أكتوبر من هذا العام ما يقارب 398,000 برميل يوميًّا[1] مقابل 1,700,000 من نفس الفترة من العام الماضي، والذي يُعَدّ انهيارًا شديدًا في إجماليّ الصادرات لإيران. هذا الانهيار بدأ تدريجيًّا، إذ شهد شهر أغسطس 2018 نزولًا ليصل إلى ما

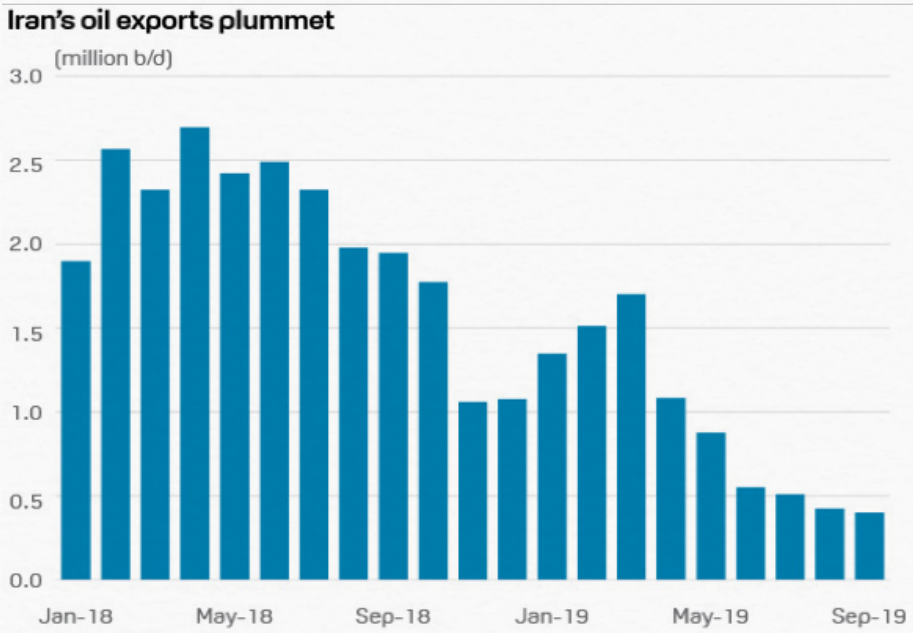

Source: S&P Global, Iran Oil Exports Face New Security Threat. 13 Nov 2019. https://2u.pw/uCCx1

يقارب مليونَي برميل يوميًّا مقارنة بالشهر الذي سبقه، واستمر معدل إجماليّ الصادرات النفطية بالهبوط ليصل إلى مليون برميل يوميًّا من نوفمبر إلى ديسمبر 2018. أعقب تلك الفترة ارتفاع طفيف ليصل إلى 1,500,000 برميل يوميًّا من يناير إلى مارس، قبل أن يهبط مجددًا بشكل تدريجيّ ليصل إلى أقل من 400,000 برميل يوميًّا في أكتوبر.

لم يقتصر الأمر على تراجع صادرات إيران النفطية، بل أيضًا تراجعت بعض الدول عن استيراد النفط من إيران ليبقى النفط الإيراني بلا مشترٍ تقريبًا، وذلك خوفًا من تلك العقوبات. ولعل أهمّ المشترين كانت الصين، التي تُعَدّ من أكبر الشركاء التجاريين مع إيران، بحجم واردات نفطية وغير نفطية بلغت 823 مليون دولار خلال شهر سبتمبر الماضي. قبل العقوبات الأمريكية، كانت الصين تشتري نحو 700,000 ألف برميل من النفط يوميًّا من إيران، ولكنها انخفضت إلى أقل من 200

(1) موقع S&P Global, تاريخ الاطلاع 13 نوفمبر http://ksa.pm/nwf

ألف برميل، أي بنسبة تراجع 70%[1] من إجماليّ وارداتها النفطية من إيران. كذلك تعتبر سوريا هي ثاني مستورد للنفط الإيراني بعد الصين، إذ تستورد ما يقارب 30% من مجموع واردات إيران النفطية.

أسعار العملة

وصلت القيمة السوقية للريال إلى أدنى مستوى تاريخيّ مقابل الدولار في سبتمبر 2018، إلا أنه بحلول أغسطس 2019 استعاد الريال نحو 40% من قيمته السوقية المفتوحة مقابل الدولار. فعلى الرغم من أن هذا الاستقرار النسبي للريال يحسب للحكومة (ساعد هذا الاستقرار في تخفيف طفيف لمعدل التضخم 42% على أساس سنوي في أغسطس 2019)، فإنّ القيمة السوقية للعملة الإيرانية مقابل الدولار ما زالت في درجات متدنية جدًّا مقارنة بقيمتها قبل فرض العقوبات الاقتصادية. قبل سنتين من الآن كان سعر الدولار الأمريكي الواحد يعادل 4009 تومانات إيرانية في المتوسط، بينما في العام الماضي في شهر أكتوبر بعد فرض العقوبات الاقتصادية وصل سعر الدولار الواحد إلى ما يقارب 14254 تومانًا إيرانيًّا، والتحسن المشار إليه في تقرير البنك الدولي بأن قيمة التومان الإيراني مستقرة حسب بيانات الشهر الحالي مقارنة بالدولار الأمريكي (الدولار= 11473 تومانًا) لا تعطي تصوّرًا دقيقًا عن قيمة العملة الإيرانية، فعلى الرغم من تحسن سعر الصرف الحالي مقارنة بالأشهر الأولى بعد فرض العقوبات في العام الماضي، فإنّ قيمة التومان الحالية ما زالت تشكل أقل من النصف من قيمته في شهر أكتوبر عام 2017[2].

سعر صرف الدولار الأمريكي مقابل التومان الإيراني
من تاريخ يونيو 2017 إلى نهاية أكتوبر 2019

Source: BONBAST – live exchange rates in Iran's free market

(1)- الأسواق العربية, بالأرقام.. انخفاض حادّ لتجارة إيران مع الصين. تاريخ الاطلاع 13 نوفمبر 2019. http://ksa.pm/nwg
(2)- BONBAST – live exchange rates in Iran's free market https://www.bonbast.com/historical/usd/2019/01

سعر صرف الدولار الأمريكي مقابل التومان الإيراني لشهر أكتوبر الحالي

All prices are in Iranian Toman (1 Toman = 10 Rials)

	Sell	Buy
Average	11473	11373
Max	11650	11550
Min	11270	11170

Source: BONBAST – live exchange rates in Iran's free market

ثانيًا: مسبِّبات تراجع المؤشرات الاقتصادية

السبب الرئيسي لتراجع المؤشرات الاقتصادية في إيران يرجع في المقام الأول إلى استمرار العقوبات الأمريكية المفروضة على إيران منذ أغسطس 2018، والتي تحظر التعامل التجاري مع البنوك الإيرانية بالدولار الأمريكي بجانب عقوبات على مشتري النفط الإيراني، والهادفة إلى تصفير صادرات إيران النفطية. ووفقًا لتقرير البنك الدولي فإن انخفاض معدلات قطاع النفط تبعًا للعقوبات الاقتصادية، إلى جانب القيود المفروضة على التجارة الدولية وتدفق رأس المال، قد أثَّر سلبًا على القطاعات غير النفطية مثل قطاع السيارات والآلات والبناء، التي واجهت تحديات متعلقة بالاعتمادات المالية وارتفاع تكاليف التشغيل.

ثانيًا، يُعَدّ اعتماد إيران على النفط في الحصول على معظم إيراداتها النقدية سببًا آخر تابعًا للعقوبات الأمريكية المفروضة. فقد استمرت بالفعل صادرات النفط الإيرانية في الانخفاض ووصلت إلى أقل من 170 ألف برميل يوميًّا. فعطفًا على أن أكثر من 30% من الميزانية الحكومية يتم الحصول عليها مباشرة من مبيعات النفط والغاز، فمن المقدر أن يتزايد العجز المالي إلى نسبة 5,6% من الناتج المحلي الإجمالي في 2019-2020. وإلى جانب العقوبات الأمريكية على الصادرات النفطية، فرضت الولايات المتحدة عقوبات على بعض الشركات الصينية التي كانت تنقل النفط الإيراني، لكن على ما يبدو فإنّ كميات النفط القليلة المصدرة من إيران إلى الصين هي بالأحرى بديل عن مدفوعات الشركات الصينية التي سبق وقامت باستثمارات في حقول النفط الإيرانية. وأشارت التقارير إلى أن الواردات الصينية من إيران بلغت نحو 11 مليار دولار، ما يعني انخفاضًا بما يعادل 37% مقارنة بالعام الماضي.

ثالثًا، هناك أيضًا أسباب إدارية وفنية تتمثل في السياسة النقدية والمالية المتبعة من قِبل الحكومة، فعلى سبيل المثال عجزت الحكومة الإيرانية عن امتصاص النموّ المتزايد للسيولة عن طريق أدواتها النقدية، كرفع أسعار الفائدة، أو الاحتياطي القانوني للبنوك أو عمليات السوق المفتوحة. من جانب آخر مماثل، تشير بيانات الإيرادات الحالية إلى أنها تأثرت سلبيًّا بسبب تخفيض القاعدة الضريبية تبعًا لانخفاض النشاط الاقتصادي. هذا التأثير السلبي بدوره سيكون

على حساب انخفاض النفقات الرأسمالية للدولة، والتي لم يتم تحقيق مستوياتها المعتمدة في الميزانية في السنوات الأخيرة، وينعكس هذا بالطبع على جودة الخدمات المقدمة للجمهور. وفي سياق الاستشراف المستقبلي للقطاع المالي، فإنّ تحديات السيولة وإعادة تدوير رأس المال إذا ما ظلّت قائمة دون معالجة فقد تؤدي إلى تقويض قدرة البنوك على تسهيل النشاط الاقتصادي. كما أن فرض مزيد من القيود على التجارة وترتيبات المعاملات المالية مع جيران إيران يمكن أن يشكل فارقًا كبيرًا في توقعات المستقبل.

رابعًا، مِن أكثر العوامل أثرًا في الحالة الإيرانية عدم الوضوح السياسي والاقتصادي، والذي يجعل من الصعب توقع إحصائيات الفقر المستقبلية. غير أن التراجع الحادّ في نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلّي الحقيقي، والتضخم الذي يفوق نسبة الـ9%، سيكون لهما بالتأكيد تأثير سلبيّ قوي على معدلات الفقر من خلال قنوات مختلفة، بما في ذلك سوق العمل، وزيادة تكاليف المعيشة، وتزايد تآكل القيمة الحقيقية للتحويلات النقدية، وأيضًا بطء استجابة السياسة الحكومية العامة. إنّ طبيعة حالات عدم الوضوح التي تواجه الاقتصاد الإيراني تعني أن المخاطر الهبوطية على مسار النمو المتوقع تظل قائمة.

خلاصـــة

«إيران حاليًّا أقوى من إيران في العام الماضي»، ادعاءات أراد بها روحاني أن يُظهِر فيها أنه رغم العقوبات فقد أثبتت حكومته القدرة على إدارة شؤون البلاد نحو الأفضل، وذلك لكي يقلل من تزايد الانقسامات، وعدم التعرض لانتقادات سياسية حادة من التيار المعارض له، ولضمان بقائه في المشهد السياسي الإيراني بعد تركه لمقعد رئاسة الجمهورية.

تجدر الإشارة هنا إلى أن إحصائيات تقرير القدرة التنافسية العالمية 2019 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي أكدت تراجع إيران 10 مراتب في سلّم الترتيب للقدرة التنافسية عالميًّا مقارنة بتقرير العام الماضي، وقد احتلت إيران المرتبة الـ99 من بين 141 دولة تم استطلاعها.

أما تقرير البنك الدولي فقد توقع انكماشًا حادًّا يصل إلى نسبة 8,7% في الاقتصاد الإيراني خلال السنة المالية 2019-2020، وهو ما تدعمه إحصائيات المؤشرات الأربعة التي استعرضناها في طيات هذا الملف.

وختامًا، تأمل الحكومة الإيرانية في الصمود أمام العقوبات الاقتصادية وتكلّل مساعيها السياسية بالنجاح، خصوصًا في ما يتعلق بتفعيل الاتفاق النووي من جديد بكيفية تضمن لها تحقيق مطامعها النووية، وعودة تعافي الأداء الاقتصادي من انكماشه التاريخي. لكن العائق الأكبر أمام الاقتصاد الإيراني يبقى سياسة الحكومة الإيرانية.

الملـــف العسكـــريّ

تُعَدّ زيارة رئيس القيادة العامة للقوّات المسلحة الإيرانية، اللواء محمد حسين باقري، إلى بكين في 10 سبتمبر 2019 زيارة استثنائية بكل المقاييس، نظرًا لندرة قيام الرجل الثاني في المؤسسة العسكرية الإيرانية بعد خامنئي بزيارات خارجية، والظروف والملابسات التي تمت فيها الزيارة، وأبرزها اقتراب موعد رفع حظر استيراد الأسلحة عن إيران، فضلًا عن الحفاوة البالغة والترحيب الحارّ الذي قُوبل به في بكين من مضيفه رئيس هيئة الأركان المشتركة باللجنة العسكرية المركزية الجنرال لي تسوتشنغ[1].

وقال الجنرال باقري لمضيفه الجنرال لي تسوتشنغ: «إنّ إيران تولي عَلاقاتها مع جمهورية الصين الشعبية اهتمامًا كبيرًا في جميع المجالات، وإنّ إيران تتمتع بعَلاقات قديمة في القطاع العسكري مع الصين، وتأمل الجمهورية الإيرانية أن تكون هذه الزيارة نقطة تحوُّل في تطوير وتعزيز العَلاقات المشتركة بين البلدين»[2].

زار اللواء الإيراني، خلال جولته التي استمرت ثلاثة أيام، الوحدات الصناعية العسكرية وألقى خطابًا في جامعة الدفاع الوطني الصينية، إلى جانب التوقيع على إنشاء لجنة عسكرية مشتركة بين إيران والصين. كما أعرب باقري عن استعداد الجامعة العليا للدفاع الوطني الإيرانية لتبادل خبراتها العسكرية مع جامعة الدفاع الوطني الصينية.

وصل نائب رئيس القيادة العامّة للقوّات المسلحة الإيرانية، العميد مهدي ربّاني، في 19 أكتوبر إلى بكين[3]، إذ رأَسَ وفدًا عسكريًّا رفيع المستوى لحضور الدورة التاسعة لمنتدى شيانغشان الأمني.

وتأتي هذه الزيارات المتتالية ذات المستوى الرفيع التي تقوم بها القيادات الإيرانية في أعقاب زيارة وزير الخارجية محمد جواد ظريف إلى بكين في أغسطس، عندما اقترح خريطة طريق لمدة 25 عامًا للتعاون الثنائي، في محاولة «لتوطيد الشراكة الاستراتيجية الشاملة»، وعلى إثر إعلان ظريف أعلن رئيس الشؤون الدولية والدبلوماسية الدفاعية في هيئة القيادة العامة للقوّات المسلحة الإيرانية، العميد قادر نظامي بور، أن إيران ستُجري مناورات بحرية مشتركة مع الصين وروسيا في بحر عمان وشمال المحيط الهندي من دون تحديد إطار زمنيّ لذلك[4].

---

(1) Iran's chief of staff of Armed Forces in China, IRNA, September 11, 2019, en.irna.ir/news/83471514/Iran- s-chief- of- staff- of- Armed- Forces- in- China

(2) «Iran- China ties have turned strategic: Baqeri,» Tehran Times, September 13, 2019, tehrantimes.com/news/440099/Iran- China- ties- have- turned- strategic- Baqeri

(3) Iranian senior military chief in China to attend intl. security forum, Mehr News Agency, October 19, 2019, https://en.mehrnews.com/news/151372/

(4) Top military official: Iran, Russia, China to hold naval drills 'in near future', PressTV, Sept 21, 2019, https://www.presstv.com/DetailFr/2019/09/21/606738/Iran- Ghadir- Nezami- naval- drills- Russia- China- Indian- Ocean- Oman-Sea

وقالت الصين إنّ الجيش يحافظ على «تعاون منتظم» مع نظرائه الأجانب[1]. ولمح المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية جينغ شوانغ إلى سابقة إرسال وحدات من الأسطول الصيني لمكافحة القرصنة ودعم موظفي الإغاثة الإنسانية الذين تم نشرهم في المياه الصومالية لحماية السفن التجارية.

وإذا تم إجراء التدريبات البحرية، فستكون التدريبات البحرية الأولى من نوعها التي تشمل قوّات دولتين عضوين في مجلس الأمن الدولي، تتمتعان بحق النقض (الفيتو)، بالإضافة إلى إيران. وقد شاركت الصين إيران من قبل في مناورات بمياه الخليج في يونيو 2017، شملت سفينة حربية إيرانية واثنتين من المدمرات الصينية وسفينة لوجستية وطائرة هليكوبتر[2].

أما روسيا فقد وقّع قائد القوّات البحرية الروسية الأدميرال نيكولاي أناتوليفيتش إيفمنوف، ونظيره الإيراني الأدميرال حسين خانزاده، مذكرة تفاهم في شهر أغسطس الماضي من أجل «توسيع العَلاقات الثنائية»[3].

أولًا: نظرة على العَلاقات الإيرانية-الصينية

من الواضح أن العَلاقات العسكرية بين الصين وإيران تزداد قوة منذ زيارة الرئيس الصيني شي جين بينغ لطهران في 23 يناير 2016، بعد أن وقّعت إيران إلى جانب مجموعة 5+1 خطة العمل الشاملة المشتركة. فقد وقّع البلدان 17 اتفاقية تضمنت بناء محطتين للطاقة النووية في جنوب

(1) Minnie Chan, «China's role in joint drill with Iran and Russia limited to anti- piracy forces, analysts say,» SCMP, Sept 23, 2019, https://www.scmp.com/news/china/diplomacy/article/3030032/china- expected- send- anti- piracy- fleet- not- navy- joint- drill

(2) Teddy Ng & Kristin Huang, «China and Iran carry out naval exercise near Strait of Hormuz as US holds drill with Qatar,» SCMP, June 19, 2017, https://www.scmp.com/news/china/diplomacy- defence/article/2098898/china- and- iran- carry- out- naval- exercise- near- strait

(3) Bruce Jones, «Moscow- Tehran intensify naval co- operation,» Jane's 360, Aug 8, 2019, https://www.janes.com/article/90367/moscow- tehran- intensify- naval- co- operation

إيران. ويهدف الاتفاق الذي استمر عقدًا من الزمن إلى زيادة حجم التجارة الثنائية إلى 600 مليار دولار[1]، كما تُوِّجَت الزيارة بتأسيس «شراكة استراتيجية شاملة» بين الصين وإيران[2].

بدأت العَلاقات الرسمية بين البلدين في عام 1971م، وسرعان ما نمت على الرغم من أجواء الحرب الباردة التي سادت آنذاك بين المعسكرين الشرقي والغربي، إذ قامت إيران بعمليات التصدير النفطي، والصين من جانبها باعتها تكنولوجيا الصواريخ الصينية[3]. أما بالنسبة إلى إيران ما بعد الثورة، فقد فتح رئيس البرلمان هاشمي رفسنجاني أبواب العَلاقات العسكرية مع الصين في يوليو 1985.

لعبت الصين دور المنقذ لإيران في حربها ضد العراق عندما باعتها أسلحة بقيمة 5 مليارات دولار، وزودتها بطائرات مقاتلة متطوّرة ودبابات ورادارات وصواريخ كروز وزوارق سريعة وأسلحة أخرى[4]. وساعدت الصين إيران في تطوير البرنامج النووي بين الفترة من 1990 إلى 1996، من تدريب العلماء إلى بناء المفاعل النووي البحثي في أصفهان، وحتى توفير اليورانيوم المخصب والتكنولوجيا ذات الاستخدام المزدوج. ونتيجة للضغوط الغربية على الصين توقف التعاون النووي بين البلدين بحلول عام 1997[5]. ولم تنقُض الصين قرار مجلس الأمن عندما فُرضت العقوبات على إيران في عام 2006، وامتثلت بكين امتثالًا تامًّا للقيود المفروضة على تصدير التكنولوجيات النووية لإيران.

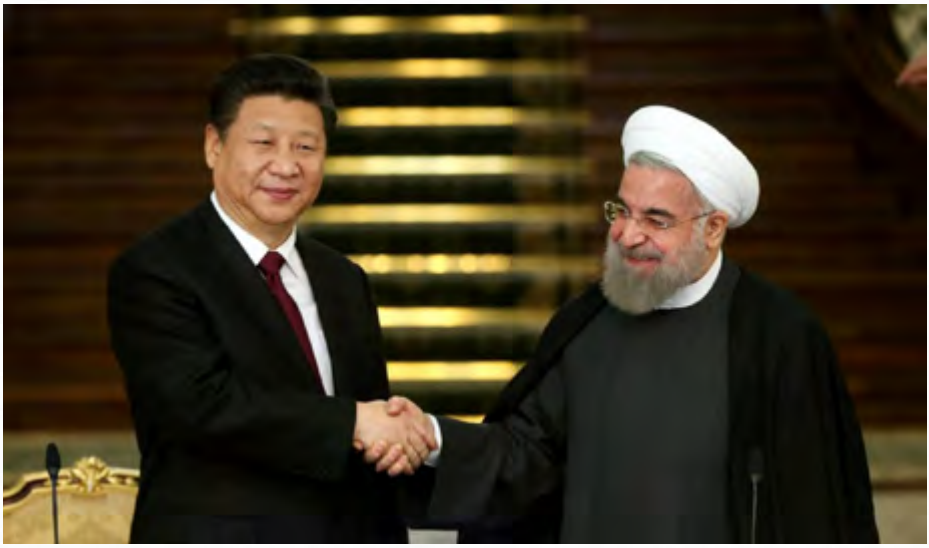

(1) Olga Samofalova, «A New Era in Iranian- Chinese Relations Threatens Russian Interests,» Russia Beyond, January 28, 2016, https://www. rbth.com/international/2016/01/28/a- new- era- in- iranian- chinese- relations- threatens- russian- interests_563003

(2) Full text of Joint Statement on Comprehensive Strategic Partnership between I.R. Iran, P.R. China, Jan 23, 2016, www.president.ir/EN/91435

(3) Alireza Namayeshi, «A Study of Iran- China's Relations and the Developments in the Province of Xinjiang,» Events and Analyses Monthly, No. 253, The General Bureau of East Asia and Oceana in Iran's Ministry of Foreign Affairs, 2009. P. 85

(4) Hannah Carter, Anoushiravan Ehteshami (Eds), «The Middle East's Relations with Asia and Russia,» Routledge, London. 2004

(5) Scott Harold and Alireza Nader, «China and Iran: Economic, political and military relations,» RAND Center for Middle East Policy, 2012, p. 6, https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/occasional_papers/2012/RAND_OP351.pdf

ثانيًا: التحضير للعَلاقات العسكرية بعد أكتوبر ٢٠٢٠

سينتهي الحظر المفروض على تصدير الأسلحة لإيران بحلول شهر أكتوبر القادم، وذلك بمرور خمس سنوات على توقيع الاتفاق النووي. منذ تولي الرئيس الأمريكي سدة الحكم وفرضه عقوبات على إيران، تنتظر إيران بفارغ الصبر الذكرى الخامسة لتوقيع الاتفاق النووي. وعلى الرغم أن الاتفاق أُبرم في 14 يوليو 2015، فإنه دخل حيِّز التنفيذ في أكتوبر من نفس العام، إذ يتضمن الاتفاق النووي إلغاء الحظر على تصدير أنواع معينة من الأسلحة التقليدية الرئيسية، مع الحصول على تصريح من مجلس الأمن قبل عمليات البيع أو الشراء بعد خمس سنوات من تنفيذ الاتفاق. ويلغى اشتراط موافقة مجلس الأمن بعد مرور ثلاث سنوات أخرى من الالتزام، أي ثماني سنوات بالمجموع.

فعليًا، سوف يظلّ الحظر ساريَ المفعول بالنسبة إلى واشنطن، وسوف يمارس حلفاؤها الغربيون حق النقض ضدّ أيّ استيراد أو تصدير محتمل لطهران. وستكون بكين وموسكو المستفيدين الرئيسيين من أيّ قرار يصدره مجلس الأمن يسمح لإيران باستيراد السلاح. لقد سعت الولايات المتحدة بالفعل إلى تمديد الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة على الأسلحة الخفيفة والتي لا يتطلب الحصول عليها موافقة مجلس الأمن[1]، إذ يمكن لطهران الحصول على زوارق الدوريات الهجومية (التي سوف تزيد من قوة الكاميكاز التابعة للبحرية) والصواريخ المضادة للسفن والألغام. وكانت الصين قد أمدت إيران في السابق بالمعدات العسكرية المطلوبة[2].

إمكانية امتلاك إيران للأسلحة بعد مرور عام يمكن ملاحظتها، ليست فقط من خلال زيارات كبار المسؤولين العسكريين الإيرانيين إلى الصين وروسيا، بل أيضًا من خلال النظر إلى ما آلت إليه المفاوضات والمعاملات المالية قبل توقيع الاتفاق.

لم تسعَ إيران لنقل صواريخ كروز المتقدمة أو أجزائها الحساسة من الصين وحسب، فمثل هذا الاستحواذ سيكون له آثار مباشرة على ميزان القوى في الخليج على المدى القصير، وسيساعد إيران في تحسين وتطوير صواريخ كروز طويلة المدى والصواريخ الباليستية، للوصول إلى القواعد العسكرية للولايات المتحدة مثل دييغو غارسيا[3]. ومن صفقات الشراء التي حصلت عليها إيران من بكين زوارق الصواريخ القوية ذات التتبع الراداري المنخفض التي يصعب رصدها مثل قوارب صواريخ من طراز »هوبي«. وتحمل تقارير وسائل الإعلام تكهنات بأن إيران أبدت اهتمامًا كبيرًا بشراء طائرات صينية مقاتلة من طراز «جي-10»[4]. من جانبها، قد تشمل قائمة الأسلحة التي ترغب طهران في امتلاكها من القوة العظمى الآسيوية أنظمة الطائرات المسيّرة المتقدمة، وأنظمة الدفاع الصاروخي، ومنصات وأنظمة الحرب الإلكترونية، وغواصة قابلة للتشغيل عن بُعد.

على الرغم من أن غالبية أنظمة الأسلحة ذات القيمة التكتيكية المتوسطة أو العالية لن تحصل

---

(1) US urges UN to extend Iran arms embargo, travel ban, France 24, August 20, 2019, https://www.france24.com/en/20190820- us- urges- un- to- extend- iran- arms- embargo- travel- ban

(2) Anothony H Cordesman, «The Iranian Sea- Air- Missile Threat to Gulf Shipping,» CSIS, February 2015, https://csis-prod.s3.amazonaws.com/s3fs- public/legacy_files/files/publication/150219_Cordesman_IranAirSeaMissileThreat_Web.pdf

(3) Dennis M. Gormley, Andrew S. Erickson, and Jingdong Yuan, «A Low- Visibility Force Multiplier: Assessing China's Cruise Missile Ambitions,» NDU Press, Washington, 2014. Pp 83–85 https://ndupress.ndu.edu/Portals/68/Documents/Books/force- multiplier.pdf

(4) Liu Rong, «Chinese Media: Russia, China to sell Iran arms to Challenge US,» People's Daily, August 13, 2015, en.people.cn/n/2015/0813/c90000- 8935125.html

عليها إيران إلا بموافقة مجلس الأمن الدولي، فإن واشنطن تستطيع الضغط سياسيًّا على بكين وعلى الدول المصدرة للأسلحة التي تمتلك حق الفيتو باستثناء موسكو لحظر عمليات بيع الأسلحة لإيران. سيتعين على واشنطن أن تساوم بكين من أجل منع طهران من الحصول على أسلحة المناطق المحظورة «إيريا دينايل» وسلاح منع الدخول2 «أنتي أكسيس2»، وهي عبارة عن أسلحة دفاعية قصيرة المدى تستخدم في المناطق الساحلية.

اشترت إيران صواريخ من الصين تتراوح قيمتها بين 4 و10 مليارات دولار قبل عقوبات 2012م[1]. وفي ما يلي جدول أعدّه «معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام»، يوضح أنواع الأسلحة التي اشترتها إيران من الصين على مدار السنوات الماضية.

النظام	الوظيفة	المدى	سنة التسليم	الحالة تحت أحكام الاتفاق النووي
سي-802	صاروخ مضاد للسفن	120 كم	2012-1994	يتطلب موافقة مجلس الأمن حتى عام 2023.
طراز-86	ناقلة جنود مدرعة	غير محدّد	2011-1997	يتطلب موافقة مجلس الأمن حتى عام 2023.
تي إل10/إف إل8	صاروخ مضاد للسفن	18 كم	2002	مسموح بمدى أقصى أقل من 25 كم.
سي-704	صاروخ مضاد للسفن	45 كم	2003	يتطلب موافقة مجلس الأمن للأمم حتى عام 2023.
سي-801	صاروخ مضاد للسفن	40 كم	2004	يتطلب موافقة مجلس الأمن للأمم حتى عام 2023.
كيو دبليو-11	صاروخ سام المحمول	5 كم	2005	يتطلب موافقة مجلس الأمن حتى عام 2023.

المصدر: معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام، قاعدة بيانات نقل الأسلحة.

على الرغم من أن الصاروخ تي إل10/إف إل8 المضاد للسفن أرخص ثمنًا، فإنه يتسبب بأضرار بالغة إذا ما أطلقته إيران على أي سفينة معادية[2]، كما أن عدم إدراج هذا الصاروخ في قائمة حظر

(1) Scott Harold and Alireza Nader, «China and Iran: Economic, political and military relations,» RAND Center for Middle East Policy, 2012, p. 6,

(2) China, Iran Agree to Expand Trade to $600 Billion in a Decade» Bloomberg, January 23, 2016, bloomberg.com/news/articles/2016- 01- 23/china- iran- agree- to- expand- trade- to- 600- billion- in- a- decade

البيع المبرمة تحت الاتفاق النووي أمر يثير قلق الولايات المتحدة ولا سيّما بعد خروج الرئيس دونالد ترامب من الاتفاق النووي. أما بالنسبة إلى العناصر ذات القيمة الكبيرة في سلة الصين فإن صفقة لإعادة تصميم وتطوير مفاعلين نوويين في أراك جنوب شرق إيران بقيمة 10 مليارات دولار لم تنفذ بعد[1].

أمّا على الجبهة الروسية، فلدى طهران قائمة من الأسلحة التي ترغب بشدة في الحصول عليها من موسكو، فهي لا ترغب فقط في الحصول على ترخيص لإنتاج دبابات القتال الرئيسية «تي-90 إس»[2]، بل أيضًا على مقاتلات «سوخوي إس يو-30 إس إم» المتطوّرة وذات القدرة العالية على المناورة[3]. لقد سلمت روسيا بالفعل عددًا غير معروف من أنظمة الدفاع الصاروخي (إس-300)، وقد أشارت التقارير الأخيرة إلى مفاوضات روسية-إيرانية على أسلحة بلغت قيمتها 10 مليارات دولار[4].

ثالثًا: مستقبل الدعم العسكري الصيني لإيران

الوضع الجيوسياسي الذي تعيشه إيران يوضح لنا مدى الرغبة الإيرانية في ضم الصين إلى صفّها، إذ ترى طهران أن بكين كرائدة في مجال التكنولوجيا والاقتصاد على مستوى العالم يمكنها مواجهة القوة الجيوسياسية والاقتصادية الأمريكية المتدهورة، ومع ذلك تسير بكين في هذا المسار بحذر، ولا سيّما أنها تعتمد على واشنطن اعتمادًا كبيرًا حتى الآن في نشاطها الاقتصادي، وقد بذلت الصين جهودًا كبيرة سعيًا منها لاستمالة واشنطن لتخفيف التعريفة الجمركية التي فرضتها الأخيرة على المنتجات الصينية، ولهذا السبب لا تسطيع الصين تحمّل أية مواجهة مباشرة مع واشنطن، ولن ترغب الصين وبأي ثمن في أن تورط شركاتها أو كياناتها التي تعمل في طهران بعقوبات الولايات المتحدة، حتى لو كان ذلك على حساب العَلاقات مع إيران.

على الرغم من أن روسيا وباكستان تقعان في خانة الحلفاء الرئيسيين للصين، فإنّ أيًّا منهما لم تشترك في اتفاق دفاعيّ كامل من أي نوع مع الصين، وتحافظ بكين على عَلاقة قوية مع موسكو وإسلام أباد لكنها امتنعت عن التحالف مع أيّ منهما. كيف يمكن للصين أن تتحمل عواقب عَلاقتها مع إيران التي اتبعت سياسات زعزعت استقرار الشرق الأوسط منذ اندلاع ثورة عام 1979؟ وعلى أية حال، لن تدعم الصين إيران في كل متطلباتها. وخير مثال يُطرح هنا أن منظمة شنغهاي للتعاون (وهي كتلة اقتصادية شبه عسكرية) لم تقبل طلب إيران للانضمام كعضو كامل العضوية في المنظمة على الرغم من أنها تقدمت بالطلب منذ عام 2006. وتعارض الصين بشدة محاولة إيران الانضمام إلى هذا التكتل الجيوسياسي الصاعد، بينما تتمتع منافستاها الهند وباكستان بالعضوية الكاملة فيه.

ومع ذلك، ستواصل بكين اتباع سياسة التوازن الناعم في المواجهة المباشرة مع واشنطن، وستوفر الدعم السياسي لإيران في الأمم المتحدة، فضلًا عن توفير الأسلحة التكتيكية أو ما

---

(1) David Rogers, «China, Iran agree two nuclear power stations and trade worth $600bn,» Global Construction Review, January 27, 2016, www.globalconstructionreview.com/news/china- iran- agree- two- nu7clear- po7wer- stat7ions/

(2) Franz- Stefan Gady, «Will Iran License- build Russia's T- 90S Main Battle Tank?,» The Diplomat, Feb 04, 2016, thediplomat.com/2016/02/will- iran- license- build- russias- t- 90s- main- battle- tank/

(3) Franz- Stefan Gady, «Will Iran Buy Russian Fighter Jets?,» The Diplomat, Aug 26, 2016, thediplomat.com/2016/08/will- iran- buy- russian- fighter- jets/

(4) «Iran's demand for Russian weaponry is estimated at $10 bln,» Tass, Nov 14, 2016, https://tass.com/defense/912141

يُعرف بالتعبوية في إطار ما تسمح به القرارات الدولية. وتمتلك الصين في ملف إيران الفرصة لموازنة سياساتها مع أمريكا في تايوان. وبعد تخفيف العقوبات المفروضة على إيران بحلول أكتوبر المقبل، قد ترغب بكين في تقديم تسهيلات لطهران بتحديثها لبعض الطائرات الإيرانية المقاتلة وتعزيز قوّتها البحرية.

وفي المقابل، وبعد موافقة الدول المطلة على بحر قزوين، بما في ذلك إيران، على آلية تقاسم الموارد، وضعت الصين أعينها على الاكتشافات المحتملة للهيدروكربونات ببحر قزوين، والتي سوف تقلل من اعتماد الصين على إمدادات النفط من الخليج.

خلاصة

تضع السياسات التي سوف تتبعها الصين حيال إيران، بعد رفع الحظر عن صادرات الأسلحة لإيران، الولايات المتحدة أمام عدة خيارات للحيلولة دون رفع القدرات التسليحية الإيرانية وهي:

الخيار الأول والأهمّ ولكنه الأصعب هو السعي للحصول على دعم من مجلس الأمن لتمديد الموعد النهائي لشهر أكتوبر المقبل لبضع سنوات قادمة. سيتطلب هذا من واشنطن أن تسعى للحصول على موافقة موسكو وبكين، وهما من أكثر المستفيدين من تصدير الأسلحة لإيران. أما فرنسا فمن المتوقع عدم رغبتها في تمديد حظر الأسلحة المفروض على إيران، الذي قد يتسبب بفوضى عارمة واختلال موازين القوى العسكرية في الشرق الأوسط.

يتمثل الخيار الثاني بالنسبة إلى الولايات المتحدة وحلفائها من الدول العربية في الضغط على الصين وروسيا بعدم تزويد إيران بأسلحة تتمتع بتكنولوجيا «منع الدخول والمناطق المحظورة». وسعت كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة لتحسين العَلاقات بشكل كبير مع روسيا على مرّ السنين لاحتواء تعاونها مع إيران، إذ قد تقدّم الرياض وأبوظبي عقودًا جاذبة للشركات الروسية لأغراض التنقيب وبناء مفاعلات نووية لأغراض سلمية.

أما الخيار الثالث والأكثر فتكًا فيمكن أن يكون الضربات المحدودة ضد المنشآت العسكرية الإيرانية الرئيسية في الخليج، فضلًا عن المنشآت البحثية لكبح تقدمها لبضع سنوات. ومن أسباب نجاح طهران قدرتها على توقع ردود أفعال أعدائها واتخاذ التدابير اللازمة، ففي حال حدوث ضربات جوية تُستهدف إيران على يد دول غير موقعة على الاتفاق النووي، ولن يتجاوز رد فعل بكين وموسكو حدود الإدانة والدعوة لضبط النفس. وقد تبقي واشنطن خيار الضربات الجوية كأسوأ سيناريو ممكن إذا بقيت عَلاقاتها مع بكين وموسكو جيدة.

الشـــأن العربـــي

واجهت إيران خلال أكتوبر ٢٠١٩م متغيرًا جديدًا على الساحة العربية، تمثّل في تصاعد الاحتجاجات الشعبية الرافضة لسوء الأوضاع الاقتصادية في الدول التي تسميها إيران محور المقاومة، أي الدول المتقاربة والمتعاونة في مد النفوذ الإيراني بالمنطقة، وأعلن المتظاهرون في هذه الاحتجاجات رفضهم الكامل للقوى السياسية الموالية لإيران بعد أن بات التقارب معها مرتبطًا ارتباطًا شرطيًّا بتدهور الأوضاع الاقتصادية وانتشار الفساد السياسي والاقتصادي وغياب هيبة الدولة، وانتشار الميليشيات المسلحة، والدخول في الصراعات الداخلية والخارجية على السواء، وارتهان الدولة الوطنية لصالح مشروع طائفيّ لا فائدة من ورائه إلا مصلحة النخبة الحاكمة في إيران، وبالتالي تظهر الاحتجاجات أنّ تكوُّن الميليشيات المسلحة وخلق النخب السياسية الموالية لإيران كان سببًا في تصاعد موجة كراهية ضد إيران وما تمارسه من سياسات تهدر حق الشعوب في الأمن والاستقرار والرفاهية.

إيـران واحتجاجـات العـراق ولبنــان

وضعت الاحتجاجات الشعبية في كل من العراق ولبنان صُنّاع القرار في إيران أمام تحديدات جديدة وغير مسبوقة في تنفيذ المشروع الطائفي العابر للحدود، ويتضح ذلك من رفض المحتجّين اللبنانيين والعراقيين لإيران من هتافاتهم وشعاراتهم، وخريطة توزيع الاحتجاجات، وحتى الجماعات الشيعية المشاركة في الاحتجاجات، ثم دوافع الاحتجاجات ضد الوجود الإيراني في العراق ولبنان، وأثرها على حجم النفوذ الإيراني، وأخيرًا مآلات الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان تجاه نفوذ إيران في الإقليم.

أولًا: انطلاق شرارة الاحتجاجات ومطالب المحتجّين في العراق ولبنان

شكّل قرار رئيس الحكومة العراقية عادل عبد المهدي يوم 1 أكتوبر 2019 استبعاد قائد قوّات مكافحة الإرهاب الفريق عبد الوهاب الساعدي، الذي اضطلع بدور كبير في محاربة تنظيم داعش في العراق، الشرارة في انطلاق الاحتجاجات لما اعتبروه تهميشًا مدروسًا لشخصية عسكرية ناجحة، وسرعان ما تحولت إلى احتجاجات سياسية على عجز الحكومة عن معالجة أزمات الفساد، والفقر، والبطالة، ونقص الخدمات كمياه الشرب والكهرباء، وهي الأزمات ذاتها التي تسببت في اندلاع الاحتجاجات مرتين ضد رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي عام 2018، والتي حالت دون حصوله على ولاية ثانية. ومع استخدام الحكومة للقوة ضد المحتجّين زادت قوة الاحتشاد وارتفع سقف المحتجّين، مطالبين باستقالة الحكومة وتشكيل حكومة مؤقتة وإجراء انتخابات مبكرة.

وشكّل إقرار الحكومة اللبنانية المستقيلة برئاسة سعد الحريري يوم 16 أكتوبر 2019 فرض ضريبة ضمن سلسلة ضرائب على إجراء اتصالات عبر تطبيق الواتساب، سحبتها لاحقًا، الشرارة في انطلاق الاحتجاجات يوم 17 أكتوبر 2019 التي تحولت بعد الخطاب التهديدي ضد المحتجّين للأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، من مجرد مطالب معيشية إلى مطالب سياسية، مطالبين بإسقاط النظام ورحيل الطبقة السياسية بالكامل بما فيها حزب الله، مما دفع بالحريري إلى تقديم استقالته يوم 29 أكتوبر 2019.

وبذلك تخطت مطالب المحتجّين في الحالتين العراقية واللبنانية مجرد المطالب الإصلاحية المعتادة، وذلك بتركيزهم على مطلب إسقاط الحكومة العراقية (سيطرة المكون الشيعي الموالي لإيران على مقاليد الحكم)، والحكومة اللبنانية (سيطرة حزب الله وحلفائه من 8 آذار المدعومين من إيران على الحكم)، ورحيل الطبقة السياسية من أمثال ميشال عون ونبيه بري ووليد جنبلاط وسمير جعجع، إلخ، ومطلب إخراج إيران وميليشياتها المسلحة من لبنان والعراق، وإن كان بشكل أكبر في العراق.

ثانيًا: هتافات وشعارات المحتجّين اللبنانيين والعراقيين ضد إيران

كشفت هتافات وشعارات المحتجّين في العراق ولبنان رفض اللبنانيين والعراقيين المشروع الطائفي الإيراني، ففي العراق ردد المتظاهرون على مختلف أطيافهم العرقية وانتماءاتهم السياسية والدينية هتافات معادية للمشروع الإيراني مثل «إيران برة برة.. عراق تبقى حرة» و«إيران بره برة.. والبصرة حرة حرة»، وتفعيل وسوم مناهضة للنفوذ الإيراني على مواقع التواصل الاجتماعي مثل «طرد إيران مطلب عراقي».

وفي لبنان، رفع المحتجّون اللبنانيون على مختلف فئاتهم ودياناتهم وانتماءاتهم وأماكنهم شعارات ضد إيران ووكلائها منذ السابع عشر من أكتوبر 2019، رافضين تهديد الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله يوم 19 أكتوبر 2019، الذي أعلن خلاله رفضه القاطع لاستقالة الحكومة وعقد انتخابات مبكرة، مهدِّدًا بدفع أنصاره للنزول إلى الشارع لتحقيق أهداف الحزب بقوله: «لا نقبل الذهاب إلى الفراغ، لا نقبل إسقاط العهد، ولا نؤيد استقالة الحكومة، ولا نقبل الآن بانتخابات نيابية مبكرة»[1]، وذلك بهتافهم «كلن يعني كلن.. نصر الله واحد منن (منهم)[2]»، في إشارة إلى ضرورة رحيل الطبقة الحاكمة كاملة بما فيها قيادات ووزراء ونواب حزب الله الذين يشكلون الأغلبية في البرلمان والحكومة اللبنانية المستقيلة.

وتشير هتافات وشعارات المحتجّين إلى تخطيهم -ولو مؤقتًا- الانقسامات السياسية والطائفية والعرقية التي اتسمت بها الحياة السياسية اللبنانية والعراقية منذ مطلع العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

---

(1) كلمة السيد حسن نصر الله -19 -10 2019، خطاب تلفزيوني، Qaptan14m، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://bit.ly/34niwlf

(2) «جورف نيوز»، متظاهرو لبنان: «كلن يعني كلن.. نصر الله واحد منن» (فيديو)، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://bit.ly/2C8CbQ8

ثالثًا: اتساع الحراك الاحتجاجي لمعاقل الحواضن الشيعية بالجنوب العراقي واللبناني

بينما اتسعت الحركة الاحتجاجية بالعراق لتمتد من العاصمة بغداد لتطال معظم المحافظات والمدن الجنوبية ذات الكثافة الشيعية العالية كالبصرة وميسان وذي قار والنجف، التي تعدّ بمثابة الظهير الشيعي القوي للمشروع الإيراني، امتدت في لبنان لتطال الضاحية الجنوبية، معاقل الثنائي الشيعي حزب الله وحركة أمل ومقراتهم في صيدا وصور والنبطية وصريفا والمعشوق وقانا وتبنين.

رابعًا: الجماعات الشيعية في مرمى نيران الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان

استهدف المحتجّون العراقيون مقارّ ومكاتب الميليشيات المسلحة الموالية لإيران، فأضرموا النيران في صور المرشد الإيراني علي خامنئي المنتشرة على الأعمدة والجدران في البصرة، وأحرقوا العَلَم الإيراني في العديد من المحافظات (طالع الصورة رقم-1)، وكذلك أحرقوا مقرّ حزب الدعوة الشيعي -بالناصرية وذي قار- التابع لرئيس الحكومة العراقية الأسبق نوري المالكي ضمن أقرب الحلفاء السياسيين لإيران، وأحرقوا مكتبي منظمة بدر وسرايا الخراساني أقرب الميليشيات المسلحة لإيران، كما اتهم المحتجّون إيران وميليشياتها المسلحة بالوقوف وراء استعمال القوة المفرطة من قتل وقنص ضد المحتجّين، ويؤكد مصداقية ذلك مؤشران:

الأول: اتهام الحكومة العراقية ما وصفتهم بـ«المخربين» (قناصة مجهولو الهوية) باستهداف المحتجّين والشرطة على السواء[1]، ومن في العراق له مصلحة في تفريق المحتجّين ودرء الشعارات المعادية لإيران غير الميليشيات الموالية لإيران؟

الثاني: إعلان رئيس هيئة الحشد الشعبي الموالي لإيران فالح الفياض يوم 7 أكتوبر 2019 جاهزية فصائله وميليشياته للتدخل لمنع ما وصفه بـ«انقلاب أو تمرد» ضد الحكومة في العراق[2]، وذلك يثبت مدى العَلاقة القوية بين الحكومة الشيعية وإيران.

صورة رقم-1: إضرام النيران في العلم الإيراني

المصدر: https://bit.ly/33978zC

(1) «دويتش فيله»، القوّات العراقية تعترف بـ«استخدام مفرط للقوة» ضد المحتجّين، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://bit.ly/36wNrDJ

(2) «مونت كارلو» الدولية، الحشد الشعبي: جاهزون لمساندة الحكومة ضد «المتآمرين» على استقرار العراق، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://bit.ly/2Wzo93s

وفي لبنان، أسقط المتظاهرون قوسًا كبيرًا عليه أعلام وشعارات حركة أمل الشيعية جنوب لبنان، وحمّل رئيس الوزراء الأسبق فؤاد السنيورة حزب الله والرئيس ميشال عون التابع لتحالف 8 آذار الذي ينتمي إليه حزب الله وإيران مسؤولية تفاقم الأزمات الاقتصادية والسياسية والمعيشية في لبنان، موضحًا أن من أبرز أسباب الاحتجاجات الحاشدة «سيطرة حزب الله الكاملة على مقاليد الأمور»، وأن الرئيس عون يتصرف «وكأنه يمثل فريقًا صغيرًا من اللبنانيين دون آخر، وقد يخضع أيضًا لسلطة حزب الله»[1]، وهذا يعكس مدى هيمنة حزب الله على المعادلة اللبنانية منذ انتخابات مايو 2018.

ولتحجيم الحركة الاحتجاجية المعادية لإيران في أحد أهم مقاصدها في العراق ولبنان، تتوالى المؤشرات على تحريك إيران أذرعها لترويع المحتجّين، ففي العراق -كما سبق القول- اتهم المحتجّون الميليشيات باستخدام السلاح ضدهم، وفي لبنان تداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي مقاطع مرئية تظهر عناصر من أمل يطلقون النيران على المحتجّين، ومقاطع مرئية لمواكب لدراجات نارية ترفع أعلام حزب الله وسائقوها يحملون أسلحة نارية، تجوب شوارع بيروت والجنوب اللبناني[2]. وذلك حفاظًا على مكتسباتها التي حققتها في الدولتين العربيتين المركزيتين في المشروع الإيراني بمجيء عام 2018، بحصول المكون الشيعي في العراق على أكثر من نصف مقاعد البرلمان وأعضاء حكومة عبد المهدي، مع الانتشار الميليشياوي العسكري واسع النطاق، وسيطرة حزب الله وحلفائه من 8 آذار على أكثر من نصف إجماليّ مقاعد البرلمان، وأغلبية وزراء حكومة الحريري المستقيلة.

خامسًا: دوافع الاحتجاجات ضد الوجود الإيراني في العراق ولبنان

بمساندة ودعم إيرانيين بات حزب الله يسيطر على المعادلة اللبنانية، وبات المكون الشيعي والميليشيات الموالية لإيران في العراق تسيطر على المعادلة العراقية، ولذلك يرجع استشراء الفساد وتدني مستويات المعيشة وتدهور الأوضاع الاقتصادية في العراق ولبنان إلى التدخّل الإيراني، فلكي تضمن إيران مدّ نفوذها في الداخل العراقي واللبناني وتنفيذ مخططاتها، اعتمدت على بيادق موالية لها وتأتمر بأمرها، وذلك ضمانًا لتحقيق الأهداف الإيرانية في العراق ولبنان، ولذلك تحوّلت الدولتان العربيتان إلى دول ضعيفة مهترئة مكبلة بالأزمات والعقبات:

أ- انتشار الفساد

بات لبنان يحتل المرتبة 138 من إجمالي 180 دولة في تقرير منظمة الشفافية الدولية 2018، بينما بات العراق يحتل المرتبة 168 في التقرير ذاته لعام 2018[3]، وتُعَدّ فترة المالكي الأكثر فسادًا في تاريخ العراق، إذ شهدت فترته تكوين الميليشيات الموالية لإيران على حساب المواطنين بذريعة محاربة الإرهاب، كما بلغت قيمة الأموال المهدرة من الأموال العامة في مرحلة ما بعد صدّام حسين نحو 450 مليار دولار، ما يعادل تقريبًا نحو أربعة أضعاف ميزانية الدولة، وأكثر من ضعف الناتج المحلي الإجمالي للبلاد[4].

---

(1) «الحرة»، احتجاجات لبنان.. السنيورة ينتقد حزب الله، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://arbne.ws/2JHde2k

(2) «الحرة»، دراجات حزب الله النارية.. تقليد إيراني استخدم ضد الحراك اللبناني، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://arbne.ws/2JLamRZ

(3) CORRUPTION PERCEPTIONS INDEX 2018, MIDDLE EAST & NORTHERN AFRICA, p.10, Accessed: 3/11/2019, https://bit.ly/2C5XW2T

(4) «الحرة»، العراق.. في مقدمة مصدّري النفط وفي ذيل مكافحي الفساد، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://arbne.ws/2JLGtB9

SCORE	COUNTRY/TERRITORY	RANK
70	United Arab Emirates	23
62	Qatar	33
61	Israel	34
52	Oman	53
49	Jordan	58
49	Saudi Arabia	58
43	Morocco	73
43	Tunisia	73
41	Kuwait	78
36	Bahrain	99
35	Algeria	105
35	Egypt	105
28	Iran	138
28	Lebanon	138
18	Iraq	168
17	Libya	170
14	Yemen	176
13	Syria	178

المصدر: https://bit.ly/2r8qbfe

ب- الانكماش الاقتصادي

ترسم الأرقام واقعًا اقتصاديًّا عراقيًّا ولبنانيًّا مأساويًّا، ففي العراق بلغ عجز الموازنة لعام 2019، البالغة 112 مليار دولار، نحو 23 مليار دولار، بزيادة مضاعفة عن زيادة عام 2018، ووصل سعر صرف الدينار إلى أدنى مستوياته، ورغم أن عائدات النفط تمثل أكثر من 90% من الميزانية، ونحو 99% من صادرات العراق، غير أنها لا تؤمّن سوى 1% فقط من فرص العمل نتيجة اعتماد الشركات النفطية الأجنبية المستثمرة على عمالة أجنبية وليس عمالة عراقية، كما تجاوز حجم الديون الخارجية 125 مليار دولار عام 2018 حسب اللجنة المالية بالبرلمان[1]، وبات نحو 22,6% بين الشباب الذكور ضمن أعداد البطالة حسب الجهاز المركزي للإحصاء العراقي[2]، و40% حسب صندوق النقد الدولي 2018، ونحو 80% من النساء ضمن البطالة حسب منظمة «نماء» العراقية، وبات يتعين على أي شخص يبحث عن عمل في الدوائر الحكومية أو الشركات التابعة أن يدفع مبالغ ضخمة تصل أحيانًا إلى 10 آلاف دولار كي يُوظَّف[3]، وأكثر من ربع السكان يعيشون فقرًا مدقعًا.

وكذلك يعاني العراق انقطاعا مزمنًا للتيار الكهربائي ومياه الشرب، إضافة إلى نحو مليون نازح عراقي بلا مأوى، ويحتاج نحو 6,7 مليون عراقي إلى معونة إنسانية رغم أنه ثاني أكبر منتِج للنفط في منظمة الأوبك بعد السعودية، ورغم تبوُّئِه مرتبة رابع أكبر احتياطي نفطي في العالم[4].

أيضًا، يُعَدّ لبنان ضمن قائمة أكثر دول العالم مديونية بنحو 86 مليار دولار حتى عام 2019[5]، ويعيش قرابة 28% من اللبنانيين تحت خط الفقر، ونسبة بطالة 36%، ويستضيف لبنان نحو 1,5 مليون لاجئ سوري، مما يثقل كاهل لبنان ويحمّله أعباء إضافية.

---

(1) «إندبندنت عربي»، مع اتساع رقعة المظاهرات.. الاقتصاد العراقي من سيئ إلى أسوأ، تاريخ الاطلاع: 4/11/2019، https://bit.ly/2JPY2jE

(2) «رووداو» العراقية، وزارة التخطيط: نسبة البطالة بين شباب العراق بلغت 22.6%، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://bit.ly/32d6Nua

(3) مانی پارسا، در عراق چه خبر است؟، راديو فردا، تاريخ الاطلاع: 4/11/2019، https://bit.ly/2ViJ0ar

(4) هيئة الإذاعة البريطانية، مظاهرات العراق.. الداخلية تنفي استهداف المتظاهرين.. والحكومة تستجيب لمطالب المحتجّين بحزمة إصلاحات، تاريخ الاطلاع: 3/11/2019، https://bbc.in/2PJV2ZB

(5) «المدن»، ارتفاع الدين العام اللبناني، تاريخ الاطلاع: 1/11/2019، https://bit.ly/2qkAlc0

ج- غياب الخدمات

يعاني لبنان من أزمة كهرباء دفعت المواطنين للاعتماد على المولدات غالية الثمن، ففي العاصمة يبلغ معدل انقطاع الكهرباء في اليوم لثلاثة ساعات يوميًّا، بينما يصل إلى ما يقارب 20 ساعة يوميًّا في مناطق أخرى، وأيضًا يعاني العراق انقطاعًا مزمنًا للتيار الكهربائي ومياه الشرب منذ سنوات، تسبب في اندلاع الاحتجاجات مرتين في المحافظات الجنوبية (يوليو/سبتمبر) 2018، وتقدر تكلفة إعادة إعمار العراق بما فيها المدن المحررة من داعش نحو 88,2 مليار دولار، حسب وزارة التخطيط العراقية فبراير 2018.

أدت هيمنة الميليشيات الموالية لإيران على المعادلتين العراقية واللبنانية إلى دفع المواطنين العراقيين واللبنانيين فاتورة تدهور الأوضاع المعيشية والاقتصادية، إذ ترفض بعض الدول والمؤسسات العربية والخليجية تقديم المساعدات (منَح، قروض) لحكومة تهيمن عليها ميليشيات مسلحة وحزب يصنَّف في العديد من الدول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والأرجنتين والبارغواي جماعة إرهابية، كل ذلك خلق وضعًا اقتصاديًّا ومعيشيًّا مأساويًّا، وشكَّل وقودًا للحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان.

سادسًا: أثر الاحتجاجات العراقية واللبنانية على حجم النفوذ الإيراني

بوعي المواطنين العراقيين واللبنانيين لخطورة المشاريع الطائفية -وفق الهتافات والشعارات والمطالب- على مستقبل دولهم وأوضاعهم المعيشية، وبخروج الشرائح الشبابية من الأجيال الجديدة، والطبقات الفقيرة في الدولتين المؤثرتين في المشروع الإيراني، ضد إيران ومخططاتها في بلديهما، نكون بذلك أمام غالبية وطنية عابرة للطائفية أفقدت المشروع الإيراني شرعيته في الخارج في خلق دولة نموذج يمكن محاكاتها في بقية الدول المستهدفة إيرانيًّا، وعملت على تعريته وانكشافه أمام الداخل والخارج، خصوصًا بعد توالي الاحتجاجات الفئوية والشعبية في إيران ضد سياسات الولي الفقيه داخليًّا وخارجيًّا، لنكون بذلك أيضًا أمام فشل إيراني ذريع في الداخل والخارج، في خلق نموذج الدولة «الأسوة»، ما ينعكس سلبًا على المشروع الإيراني ويزيد من تكلفة استمراريته، بالنظر إلى:

1- وعي ورفض العراقيين واللبنانيين على مختلف ألوانهم وأطيافهم للطأفنة:

الناظر إلى الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان الذي غاب عنه جميع الرايات والهتافات الحزبية والجانبية وكذلك الولاءات الأخرى، يرى إدراكًا شعبيًّا متناميًا لخطورة الطأفنة على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للشعبين العراقي واللبناني، نتيجة استغلال الميليشيات الشيعية الموالية لإيران موارد هذه الدول ومقدرات شعوبها في تنفيذ المخططات المذهبية، كما يحدّ من إقبال الدول التي تنبذ الطائفية على تقديم المساعدات والخطط التنموية للعراق ولبنان، ويقلص من حجم الفرص الاستثمارية، ويعكس ذلك خروج الشباب من كل الطوائف والتيارات العراقية واللبنانية ومن المناطق الشيعية أكثر من المناطق غير الشيعية ضد المشاريع الطائفية، ما يفقد إيران ورقة الانقسام المذهبي التي لطالما استثمرتها ووظفتها للتمدّد، وهو ما أربك إيران وأرّق قادتها وجعل خامنئي يصف المحتجّين بمثيري الشغب.

2- الأجيال الجديدة الشابة المعادية للمذهبية تسيطر على الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان:

الكتلة الحرجة المسيطرة على الحراك الاحتجاجي في الدولتين العربيتين تتشكل من الشرائح الشبابية الأقل من 20 عامًا، والعاطلين عن العمل، وهي شرائح حداثية تميل إلى الحداثة والتكنولوجيا، وتركز على الأوضاع المعيشية والحياتية والعدالة الاجتماعية والحريات الخاصة والعامة كونهم يقضون معظم أوقاتهم على شبكات التواصل الاجتماعي ذات القيم والتقاليد الغربية، ويرفضون تمامًا كل ما له صلة بالمشاريع الفكرية والمذهبية، ويفضلون محاربة الفساد والفاسدين. وهذه الأجيال الجديدة ليست في صالح المشروع الإيراني.

3- الطبقات الفقيرة المهمشة والأكثر احتياجًا تسيطر على الحراك الاحتجاجي:

هذه الطبقات باتت ترى أن النخب الحاكمة تقسم الحصص من الموارد والعائدات لخدمة أجندات خارجية لضمان تعزيز مكانتها وقوّتها وديمومتها في الحكم، وذلك على حساب الطبقة الفقيرة التي لا يعنيها سوى قوت يومها ومتطلبات حياتها اليومية، لا مشاريع مذهبية ولا سياسية، ما يُفقِد المشروع الإيراني تأييد هذه الطبقات العريضة والأكثر عددًا في الدولتين اللبنانية والعراقية.

سابعًا: الموقف الإيراني من الاحتجاجات في العراق ولبنان

تصريحات عديدة أطلقها رموز النظام تستنكر الاحتجاجات العراقية واللبنانية، أبرزها تصريح المرشد علي خامنئي يوم 30 أكتوبر 2019 بأن «الدول الغربية توظف أموال بعض الدول الإقليمية لدعم أحداث الفوضى والشغب في دول المنطقة»، داعيًا «الحريصين والعقلاء في لبنان والعراق إلى أن يعالجوا حالات عدم الأمن في هذه الدول»[1]، وذلك بعد أيام قليلة من اعتبار المساعد الخاص لرئيس البرلمان للشؤون الدولية حسين أمير عبد اللهيان بأنها احتجاجات تزعزع الأمن وتنشر الفوضى في العراق ولبنان[2].

(1) ایندیپندنت فارسی، ادعای علی خامنه‌ای درباره اعتراضات مردمی، تاریخ الاطلاع: 4/11/2019، https://bit.ly/2PHgrCV
(2) خبرگزاری فارس، صهیونیست‌ها وحامیان تروریسم تکفیری در پشت حوادث عراق قرار دارند، تاریخ الاطلاع: 4/11/2019، https://bit.ly/2LKu81y

هذه التصريحات الاستفزازية للمحتجّين تعكس حالة القلق والارتباك الإيراني الشديد على حجم النفوذ والمكاسب التي حققتها إيران في أهم دولتين عربيتين في مشروعها التوسعي، وتكشف إلى أي مدى يمكن أن يكون لهذه الاحتجاجات الحاشدة والرافضة للتدخلات الإيرانية تأثير على حجم النفوذ الإيراني في العراق ولبنان، وكيف أصبحت كابوسًا يؤرق صانع القرار في إيران، ولذلك كان وصف خامنئي للاحتجاجات بالأقرب إلى مفهوم إثارة الشغب ما قوبل برفض مطلق من قِبل المحتجّين، لكونه بهذا التشبيه يسعى إلى إفقاد مطالب المحتجّين شرعيتها، خصوصًا مطلب إسقاط الحكومة، لكونها ذات أغلبية وزارية مؤيدة للمشروع الإيراني.

وفي إصرار واضح على نظام المحاصصة الطائفية التي تضمن بقاء وكلائه على قمة هرم السلطة في العراق ولبنان، طالب المرشد الإيراني، وبعكس ما فعله ورفاقه عند اندلاع الثورة التي أطاحت بحكم الشاه 1979، المحتجّين باتباع الطرق القانونية لتحقيق مطالبهم، ولذلك من المتوقع أن تبذل إيران قصارى جهدها للحفاظ على مكاسبها السياسية من خلال تحريك أذرعها لتحجيم الحراك وإفراغه من مضمونه، ومِن ثَمّ فالأمر مرهون بمدى قدرة هذا الحراك على التحدي والصمود لما يحاك له من قِبل إيران ووكلائها في العراق، حتى رغم إعلان الرئيس العراقي برهم صالح في 31 أكتوبر قبول عبد المهدي الاستقالة.

ثامنًا: مآلات الحراك الاحتجاجي في العراق ولبنان ونفوذ إيران في الإقليم

كشفت الاحتجاجات عن خسارة إيران للشعوب -وإن كسبت النفوذ- التي لم يعُد ينطلي عليها مسكنات القرارات الإصلاحية لأنظمتهم، لإدراكهم أنّ هذه الأنظمة لا يشغلها سوى داعميها من الأطراف الخارجية مقابل ديمومتهم في الحكم، وهو ما يُعَدّ تحدّيًا جديدًا إضافيًّا أمام المشروع الإيراني، يأتي من داخل الدول المستهدفة بالمشروع الإيراني ذاتها وليس كمؤامرات كما يتصوّر ويصوّر الإيرانيون، ما يزيد من عامل التكلفة إذا ما أرادت إيران المضيّ قُدمًا في مشروعها التوسعي.

في العراق هناك إمكانية لفشل الحراك لما تقوم به إيران من مؤامرات وتحركات مناوئة للاحتجاجات ومطالب المحتجّين للحفاظ على مكتسباتها، وتراهن في ذلك على إحباط وملل المتظاهرين، ما من شأنه ارتفاع معدل النفوذ بعد إخفاق الحراك وإصابة المحتجّين بالإحباط، وهناك إمكانية لنجاح الحراك في تحقيق المطالب وإعلان الحكومة استقالتها، حال استمرارية الاحتجاجات من الأجيال الشابة الجديدة، وهو ما يعني بوضوح التأثير سلبًا على حجم النفوذ الإيراني واستمراريته في العراق، أما ذلك فمرهون بمستقبل الصراع بين إيران والولايات المتحدة، خصوصًا بعد أن ثبت طيلة الفترات الماضية عدم الاكتراث الأمريكي لتحجيم نفوذ إيران الإقليمي.

أما في الحالة اللبنانية، فالمسألة قد اختلفت بعد استقالة الحريري من رئاسة الحكومة، إذ يبدو أنه قد نجح في إقناع حزب الله وحلفائه من 8 آذار بالتعاون لإجراء إصلاحات لامتصاص غضب الشارع، بتنازل حزب الله عن رفضه استقالة الحكومة، وبخاصة مع استحالة تشكيل حكومة جديدة لا تشبه الحالية بالنظر إلى طبيعة التوازنات الحزبية وقواعد الحياة السياسية الحالية في لبنان، وصعوبة تمريرها ومباشرة مهامّها من دون موافقة وهيمنة لحزب الله، إذ إنّ تشكيل حكومة تكنوقراط أمر يصعب تحقيقه في الحالة اللبنانية، غير أن هذا السيناريو قد ينقل لبنان إلى واقع سياسيّ مغاير مفتوح على كل الاحتمالات.

خلاصـــة

المسألة الأبرز والأهمّ في الحالتين اللبنانية والعراقية أن الشعبين العراقي واللبناني وممن سمتهم إيران بالمستضعفين قد ضاقوا ذرعًا بإيران وميليشياتها، وهذا المسألة تعدّ فرصة تاريخية مواتية وورقة رابحة جدًّا ينبغي استثمارها ضد المشروع الإيراني ومبادئ الثورة الإيرانية التي أكدت على نصرة المستضعفين، من خلال الترويج لمخاطر الأذى الإيراني على أمن واستقرار الدول العربية وغير العربية، في سوريا، واليمن، ولبنان، والعراق الذي يمثل ثاني إنتاج نفطي في منظمة الأوبك بعد السعودية، وبات يعاني من أزمات كارثية نتيجة التدخّل الإيراني منذ عام 2003، وكذلك أن تعيد إدارة ترامب النظر في أدوات واستراتيجيات تعديل سلوك النظام الإيراني إذا ما كانت جادة في مسألة تحجيم نفوذ إيران الإقليمي، بتوظيف حالات السخط الشعبي العربي من الشرائح الشبابية والأجيال الجديدة الرافضة للمذهبية وحكم العمائم، كأوراق ضغط قوية ضد إيران.

الشـــأن الدولـــي

شهدت التفاعلات الخاصة بإيران على الساحة الدولية خلال شهر أكتوبر ٢٠١٩ تطوّرات مهمة، كان أبرزها العَلاقة مع الولايات المتحدة، التي لا تزال تواصل استراتيجية الضغوط القصوى من أجل إقناع إيران بالتفاوض حول اتفاق جديد، وفي الوقت نفسه الذي تتمسك فيه إيران بمواقفها بعدم التفاوض في ظلّ العقوبات، وهو ما جعل التوتر والتصعيد المتبادل هو السمة الرئيسية لتطوّرات العَلاقة خلال هذه المرحلة.

أمّا على صعيد عَلاقة إيران بباكستان فقد قام رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان بزيارة إيران والمملكة العربية السعودية في إطار وساطة تهدف إلى تهدئة الأزمة من جراء الهجوم الإيراني على المنشآت النفطية السعودية الشهر الماضي، سبتمبر ٢٠١٩م.

إيــران والولايــات المتحــدة

استمرت الأزمة بين إيران والولايات المتحدة في التصاعد خلال شهر أكتوبر 2019، ويمكن الإشارة إلى أهم ملامح العَلاقة بين الجانبين من خلال العناصر الآتية:

أولا: تطوّرات الموقف الأمريكي من الأزمة مع إيران

على الجانب الأمريكي يمكن رصد ما يأتي:

استمرار الضغوط

استمرت الولايات المتحدة في فرض مزيد من الضغوط على إيران، ويوضح الجدول رقم (1) أهم تلك الضغوط.

جدول رقم (1) الضغوط الأمريكية الخاصة بإيران خلال شهر أكتوبر 2019

التاريخ	العقوبات
16 أكتوبر	حذّر البيت الابيض شركات الشحن الصينية من إغلاق أجهزة التتبع الخاصة بسفنها لإخفاء شحنات نفط إيرانية.
24 أكتوبر	رفضت الولايات المتحدة إصدار تأشيرة لوزير الاقتصاد الإيراني ووفد اقتصادي كان يخطط للمشاركة في الاجتماع السنوي للبنك الدولي بين 14 و20 أكتوبر 2019.
24 أكتوبر	قدم كل من السيناتور تيد كروز، وليندسي غراهام، مشروع قانون يطالبان فيه الرئيس الأمريكي بمنع إيران من التعاون النووي مع دول العالم، وبموجب هذا المشروع المقترح سيتم إلغاء التعاون النووي مع إيران، في ما يتعلق بمنشآت أراك وفوردو النوويتين، ومفاعل طهران للأبحاث.
25أكتوبر	صرح وزير الخزانة الأمريكي بأنه تم تصنيف إيران كدولة مثيرة للقلق جراء ضلوعها في غسل الأموال، وتتعمد تجنب الشفافية في اقتصادها لتتمكن من تصدير الإرهاب إلى أنحاء العالم.

27 أكتوبر	أعلنت وزارتا الخزانة والخارجية عن إنشاء آلية جديدة للصادرات «الإنسانية» إلى إيران، وقالت إنها تهدف إلى تسهيل إرسال الاحتياجات الأساسية وضمان عدم تحويلها إلى النظام الإيراني لتطوير برامجه الصاروخية ودعم الإرهاب.
27 أكتوبر	أدرجت وزارة الخزانة إيران على القائمة السوداء، بتهم تبييض الأموال بموجب «قانون باتريوت» لعام 2001، الذي يحظر فعليًّا كل المعاملات الأمريكية مع المصارف الإيرانية.
31 أكتوبر	أعلنت الخارجية الأمريكية فرض عقوبات جديدة على قطاع الإنشاءات في إيران والتجارة في 4 مواد تستخدمها طهران في برامجها العسكرية أو النووية، وفرض قيود دائمة تحرم إيران من امتلاك سلاح نووي عبر استخدام كل الأدوات الدبلوماسية والاقتصادية.

المصدر: إعداد وحدة الدراسات الإقليمية والدولية، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية (رصانة).

رغم هذه الضغوط والعقوبات فإنّ وزارة الخارجية الأمريكية قامت في 16 أكتوبر 2019 بتمديد إعفاء العراق من قانون العقوبات الأمريكية، من أجل مواصلة شراء الغاز والكهرباء من إيران لثلاثة أشهر أخرى، وتُعَدّ هذه هي المرة الخامسة التي تقوم فيها أمريكا بإعفاء العراق من عقوبات استيراد الطاقة من إيران، وتراعي الولايات المتحدة اعتماد العراق بشدة على شراء الكهرباء والغاز من إيران[1].

تحقيق إجماع دوليّ

بجانب تكثيف الضغوط تواصل الولايات المتحدة سياساتها من أجل إقناع الدول المؤيدة لإيران وللاتفاق النووي بالتخلي عن مواقفها، وترى الخارجية الأمريكية بحسب بومبيو أن «العالم تيقّن أن النظام الإيراني لا يفهم إلا لغة القوة»، كاشفًا أنه وعقب الهجمات التي شنتها إيران على منشآت أرامكو، قبلت الدول الأوروبية بالضغط على طهران لإجبارها على التفاوض.

من جهة ثانية، كشف المبعوث الأمريكي لشؤون إيران براين هوك أن الولايات المتحدة تضغط على روسيا والصين وغيرهما من أعضاء مجلس الأمن، لاتخاذ الإجراء المناسب ضد إيران بعد هجومهم على منشآت النفط السعودية، وهو الاتجاه الذي أكده وزير الدفاع الأمريكي مارك إسبر خلال ندوة له في بروكسل بدعوته شركاء الولايات المتحدة للمساهمة في ردع إيران.

على صعيد آخر، بدأت الخارجية الأمريكية حملة دعائية للتحذير من خطورة ما بعد إكمال السنة الخامسة من توقيع الاتفاق النووي، محذِّرة من أن إيران بعد أكتوبر 2020م سيكون مطلق اليد في بيع الأسلحة لأي جهة، بما في ذلك وكلاؤه الإرهابيون، كما ستتمكن دول مثل روسيا والصين من بيع دبابات وصواريخ للنظام الإيراني، فضلًا عن أجهزة دفاع جويّ. ووضعت الخارجية

(1) وكالة مهر، از سوی وزارت خارجه آمریکا؛ آمریکا معافیت عراق برای ادامه تجارت با ایران را تمدید کرد، تاریخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://bit.ly/2ORfDe6

عدًّا تنازليًّا على موقعها الإلكتروني لانتهاء القيود على بيع واستيراد الأسلحة المفروضة على إيران، لهذا دعا بومبيو الأمم المتحدة في 18 أكتوبر لإعادة فرض حظر بيع الأسلحة على إيران لأن بقاء العمل بالاتفاق سيفتح سباق تسلح في الشرق الأوسط. وأشار وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو إلى أن نشاطات إيران المقلقة في المنطقة ستكون أكثر خطورة بعد إفساح المجال لها ببيع طائرات صغيرة دون طيار أو صواريخ متطوّرة أو مدرعات.

صورة لعداد تنازلي على موقع وزارة الخارجية يحذر من أن الوقت على قيود إيران ينفد

تعزيز الحضور العسكري في الخليج

عززت الولايات المتحدة حضورها العسكري في منطقة الخليج ردًّا على الهجوم على منشآت النفط في بقيق في سبتمبر 2019، إذ أرسل البنتاجون ثلاثة آلاف جندي إلى السعودية، ومخطط أن يتم إرسال منظومتين للدفاع الصاروخي من نوع «ثاد» و«باتريوت» إلى الخليج، بالإضافة إلى سربين جديدين من المقاتلات إلى السعودية. وعلّق وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو على ذلك بقوله إنّ الولايات المتحدة تحاول تعزيز القدرات الدفاعية السعودية عبر إرسال مزيد من القوّات والمعدّات إليها، وذكر أن أحد أسباب إرسال هذه القوّات والأسلحة العسكرية إلى السعودية هو إيجاد قوة رادعة للتصدي لإيران[1].

وقد تواترت تصريحات من جانب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب و وزير دفاعه مارك إسبر تفيد باستعداد الولايات المتحدة لمواجهة خطر إيران إذا ما لزم الأمر، إذ قال ترامب بعد اجتماع في البيت الأبيض: «سنضرب بطريقة لم تحدث من قبل في حال قيام إيران ببعض الأشياء»، وفي أعقاب اختتام قمة العشرين في مدينة أوساكا اليابانية، قال إنّ الولايات المتحدة الأمريكية تملك قائمة بعشرات الأهداف المحتملة في إيران، في إشارة إلى احتمال توجيه ضربة عسكرية.

وفي سياق الترتيبات الأمنية استضافت العاصمة البحرينية المنامة مؤتمرًا دوليًّا بمشاركة أكثر من 60 دولة لبحث الأعمال العدائية، وذلك في إطار محاولة بلورة خطة مشتركة للتعامل مع طهران، وشارك في المؤتمر الدول الأعضاء في «مؤتمر وارسو»، وهي مجموعة تضمّ دولًا عربية وغربية، وشاركت في اجتماع مناهض لإيران في العاصمة البولندية في فبراير 2019 بقيادة الولايات المتحدة.

لكن جاء قرار الرئيس ترامب بسحب القوّات الأمريكية من شمال سوريا ليثير الجدل حول مدى تأثيره على نفوذ إيران الإقليمي وعلى استراتيجية مواجهة نفوذ إيران في المنطقة، لهذا يعارض

---

(1) صحيفة حمايت، واشنگتن براى تقويت امنيت رياض سه هزار نيرو به عربستان مى‌فرستد كاسبى جديد ترامپ از گاو شيرده، تاريخ الاطلاع: 3 نوفمبر 2019. https://bit.ly/35w7KRt

قادة وسياسيو الحزبين الجمهوري والديمقراطي الأمريكي قرار ترامب، ويعتبرونه لصالح إيران وحلفائها في المنطقة[1]، في حين أن براين هوك اعتبر أن قرار الرئيس دونالد ترامب، بسحب القوّات الأمريكية من سوريا، لن يغير استراتيجية واشنطن بشأن إيران.

شنّ هجمات سيبرانية

نفذت الولايات المتحدة في نهاية سبتمبر 2019 هجومًا سيبرانيًّا ضد إيران عقب الهجوم الذي استهدف منشآت نفطية في السعودية، وتسبب الهجوم في إحداث ضرر كبير. وتكشف هذه العملية الطريقة التي تحاول من خلالها إدارة الرئيس دونالد ترامب تحجيم إيران دون الانجرار نحو مواجهة واسعة وأكثر صعوبة.

الموقف الأمريكي من عملية التفاوض

لخص براين هوك الموقف الأمريكي من عملية التفاوض مع إيران، إذ صرح في 11 أكتوبر 2019 بأن الولايات المتحدة ستواصل فرض عقوبات على إيران حتى تقبل التفاوض مجددًا[2]، وأعلن في 16 أكتوبر أن واشنطن مارست حملة ضغط قصوى وغير مسبوقة بهدف دفع طهران للقبول بالتفاوض، ومنعها من امتلاك سلاح نووي، وفق اتفاق شامل يمنعها من التدخّلات الخبيثة في المنطقة، مضيفًا أن «البرنامج الصاروخي لإيران سيكون على طاولة أي مفاوضات مقبلة»، مشيرًا إلى أن «حملة الضغط القصوى ضد إيران ستستمر وستزداد حدة» حتى تقبل إيران بالتفاوض، فهوك يرى أنّ العقوبات الأمريكية تؤذي إيران بشكل كبير، وتحرمها من عشرات المليارات من الدولارات، مشيرًا إلى أن النظام لم يسبق له أن عانى من مثل هذه الأزمة الاقتصادية في ظل انخفاض الناتج القومي بنسبة 12%.

(1) وكالة ميزان، وزير اسبق فرهنگ وارشاد: دوشيدن گاو شيرده ادامه دارد!، تاريخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://bit.ly/2osDLcx

(2) وكالة إيرنا، برايان هوک: به دنبال درگيرى با ايران نيستيم، تاريخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. www.irna.ir/news/83512891/

ثانيًا: السياسة الإيرانية في مواجهة المواقف الأمريكية

يمكن توضيح سياسة إيران تجاه الولايات المتحدة من خلال العناصر الآتية:

الاستمرار في سياسة التحدي والمواجهة

يرى بعض قيادات إيران أن الولايات المتحدة بذلت قصارى جهدها للضغط على إيران، وأن خياراتها باتت محدودة، وأن إيران قادرة على مواصلة سياسة المقاومة والمواجهة، وذلك من خلال الاستمرار في تصدير النفط والبضائع على الرغم من العقوبات[1]، وتأكيدًا على ذلك صرح روحاني بأن إيران يمكنها إنتاج أكثر من 95% من الأدوية التي تحتاج إليها في الداخل، وأشار إلى أن هناك دولًا تساند إيران في الخفاء، كما تقف دول جوار إيران إلى جانبها حتى لو أظهروا غير ذلك للولايات المتحدة. وأكد روحاني أن ذلك يُعَدّ سببًا في صمود إيران كل هذه الفترة أمام العقوبات والضغوط[2]، كما يؤكد النظام الإيراني أن الانسجام ووحدة الصف الداخلي ركيزة أساسية في استراتيجية المواجهة التي يتبناها النظام[3].

التهديد بتنفيذ المرحلة الرابعة من خفض الالتزامات النووية

تشمل المرحلة الرابعة عدة إجراءات متوقعة، أهمّها: العمل على إنتاج وتشغيل أجهزة طرد مركزيّ أكثر تطوّرًا، وفرض مزيد من القيود على عمليات التفتيش في المنشآت النووية، والحدّ من أنشطة مراقبة الوكالة الدولية للطاقة الذرية على الأنشطة النووية في إيران، وقد أعلن روحاني في 14 أكتوبر عن مواصلة إيران تقليص التزاماتها بموجب الاتفاق النووي الذي أُبرم عام 2015. إضافة إلى ذلك، أعلنت إيران أنها ستقوم بتشغيل الدورة الثانوية لمفاعل أراك المحدّث خلال الأسبوعين المقبلين، كاشفة أنها حققت اكتفاءً ذاتيًّا في إنتاج وتشغيل أجهزة الطرد المركزي.

تمارس إيران ضغوطها من خلال التهديد بتنفيذ هذه المرحلة أملًا في وفاء الاتحاد الأوروبي بالتزاماته

(1) وكالة فارس، ذو النوری: آمریکا دیگر تحریم جدیدی برای ایران ندارد، تاریخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://bit.ly/2oUFI0R

(2) وكالة أنباء فارس، روحانی: کشورهای دوست با زبان به آمریکا احترام می‌گذارند اما در عمل با ما کار می کنند، تاریخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://bit.ly/33uuwav

(3) وكالة إيسنا، جهانگیری: آمریکایی‌ها می‌دانند طرح فشار حداکثری به ملت ایران دیگر جواب نمی‌دهد، تاریخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://soo.gd/kFgw

المنصوص عليها في الاتفاق، لكن تخشى إيران أن يؤدي ذلك إلى الإضرار ببقاء الاتفاق ككل، فضلًا عن تهيئة المجال لتكثيف الضغوط الدولية على إيران، إذ سيفضي رفع نسبة تخصيب اليورانيوم كما هو متوقع مع هذه الخطوة إلى خلق إجماع دولي ضد إيران، وهذا ما كان يطمح إليه ترامب، ومع خلق إجماع دولي ضد إيران فإن إيران ستتعرض لضغوط أشد تأثيرًا من ذي قبل[1].

وإلى جوار ذلك، أعلن المرشد الإيراني علي خامنئي أنّ إيران تملك التكنولوجيا النووية لكنها لم تسعَ قَطّ لصناعة أو استعمال الأسلحة النووية التي يحرّمها الإسلام، وذلك على ما يبدو محاولة لامتصاص تبعات شروع إيران في رفع نسبة تخصيب اليورانيوم بعد دخول المرحلة الرابعة حيّز التنفيذ، والتأكيد على أنها ضمن التزامات إيران بعدم حيازة سلاح نووي.

الاستعدادات العسكرية:

يحرص النظام الإيراني على تطوير قدراته العسكرية في إطار استراتيجية المقاومة التي يتبناها، وقد وجّه خامنئي رسالة إلى الحرس الثوري قال فيها: «يجب على آلة الحرس العسكرية أن تكون متطوّرة. احصلوا على ما تحتاجون إليه في جميع المجالات العسكرية والاستخباراتية»[2]. واتساقًا مع ذلك أكدت وزارة الدفاع الإيرانية أنها ترصد تحركات الولايات المتحدة في الخليج على مدار الساعة، مهددة باستهداف المصالح الأمريكية في المنطقة حال تعرض إيران لأي ضربة، إذ قال نائب وزير الدفاع الإيراني قاسم تقي زاده: «معظم المصالح الأمريكية تبعد عنا 220 كيلومترًا، ولو قاموا بشن ضربة فإننا سنستهدف مصالحهم». كما أعلنت إيران أنها تطوّر قدراتها العسكرية من خلال صنع أسلحة أقل قيمة وتتناسب مع التهديدات، على غرار منظومة «باور 373» الصاروخية الإيرانية التي فرضت على الولايات المتحدة وقف استخدام طائرات «U-2» المسيرة ضد إيران. وأضاف نائب وزير الدفاع الإيراني أن إيران «تنفذ أكثر من 2000 مشروع بحث عسكريّ، بميزانية تبلغ 447 مليار تومان إيراني (ما يساوي نحو 38 مليون دولار أمريكي)».

ورحّبت إيران بانسحاب القوّات الأمريكية من المناطق الشمالية الشرقية في سوريا، واعتبرت أن الشرق الأوسط سيكون أكثر أمنًا من دون الولايات المتحدة. وردًّا على تهديدات الرئيس الأمريكي، قال وزير الدفاع الإيراني، أمير حاتمي، إنّ تهديدات الرئيس الأمريكي بضرب إيران «مجرد هراء، وهدفها التغطية على العار الذي رافق السياسة الأمريكية في المنطقة مؤخرًا».

الهجمات السيبرانية

قالت شركة «مايكروسوفت» إنّ القراصنة الإيرانيين، وبدعم واضح من حكومتهم، قاموا بأكثر من 2700 محاولة اختراق حسابات البريد الإلكتروني للمسؤولين الحاليين والسابقين في حكومة الولايات المتحدة والصحفيين الذين يغطون الحملات السياسية والحسابات المرتبطة بحملة الانتخابات الرئاسية التي ستجرى في 2020 في الولايات المتحدة[3].

الموقف من عملية التفاوض

ترى إيران أن المقاومة والصمود هما الحل الوحيد أمامها، وأن عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي ورفع العقوبات الاقتصادية هي شروط إيران قبل بدء أي حوار معها، ورغم ذلك

---

(1) وكالة إيسنا، مطهرنيا: به مذاكره مستقيم ايران با آمريكا يا در قالب 5+1 خوشبين نيستم، تاريخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://bit.ly/2LOWcRa

(2) وكالة تسنيم، امام خامنه‌ای در دانشگاه افسری امام حسين(ع): رفتار آمريكايی‌ها موجب افزايش عزت سپاه شد/ با تمسک به سيدالشهداء(ع) در مقابل آمريكا كوتاه نمی‌آييم، تاريخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2019. https://soo.gd/6lDY

(3) Iranian Hackers Target Trump Campaign as Threats to 2020 Mount, accessed on: 1 nov. 2019. https://cutt.us/7CnGw

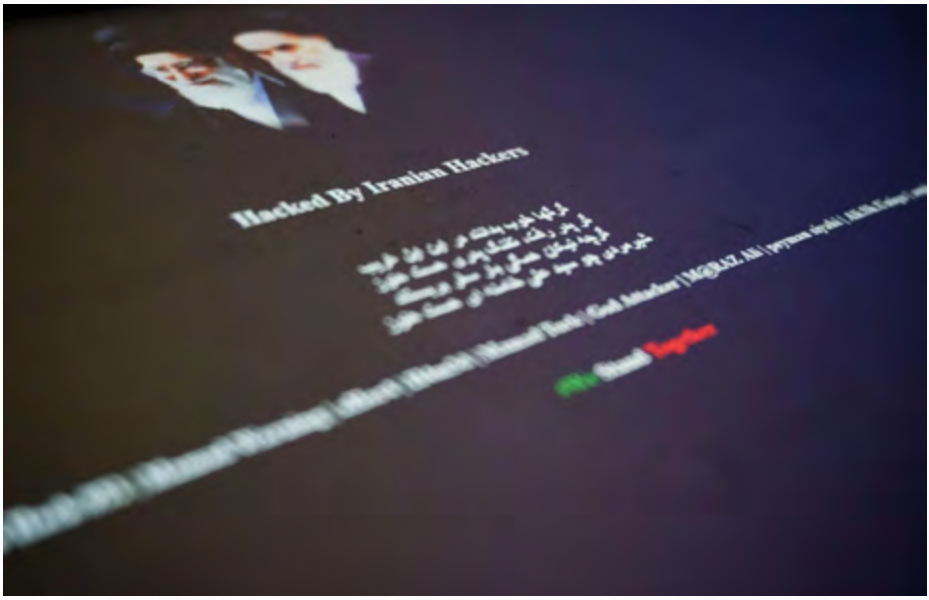

فإن روحاني أشار في 16 أكتوبر 2019 إلى ضرورة إجراء استفتاء لحسم «قضايا مصيرية تتعلق بالوضع الداخلي والخارجي للبلاد»، معتبرًا أنه «منذ 40 سنة لم نصل إلى إجابة صريحة وحازمة في هذا الشأن، فالبعض يريد التعامل البنّاء مع العالم، وآخرون يدعون إلى مواجهة مستمرة، كما أن هناك من يقول إنه يجب أن نكسر العدوّ، وهناك من يرى أنه من الممكن أن نحل كثيرًا من المشكلات (معه)... القضية الأساسية هي: هل نتّبع استراتيجية التعامل أم المواجهة؟»، وهو ما فهم منه أنه نوع من الضغط على المرشد والمتشددين داخل النظام، لتغيير وجهة نظرهم بالاستبدال بخيار المقاومة والمواجهة سياسةً أكثر انفتاحًا تجاه الجهود والوساطات الداعية للتفاوض مع الولايات المتحدة.

وصرح جان إيف لو دريان للجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي بخصوص الوساطة الفرنسية بقوله: «ما زلنا نعتبر تلك المبادرات، التي لم تنجح، مطروحة. والأمر يرجع إلى إيران والولايات المتحدة للاستفادة منها في فترة زمنية محدودة نسبيًّا».

خلاصـــة

لا يمكن بحال من الأحوال إنكار ما تركته الضغوط الأمريكية من آثار اقتصادية متعدّدة، باتت تؤثر على حياة المواطنين في إيران، إذ يتزايد باطراد معدل التضخم، ويتراجع سعر العملة، إذ وصلت قيمة الدولار الأمريكي الواحد إلى 115 ألف ريال إيراني خلال أكتوبر 2019، بينما كان الدولار الأمريكي الواحد يساوي 30 ألف ريال إيراني قبل عامين.

وقد وصل سوء الأوضاع الاقتصادية إلى التأثير على مستويات الانفاق الحكومي واتجاهاته، إذ انخفض الإنفاق العسكري الإيران بمقدار 29%، وتراجع تمويل إيران لميليشياتها في المنطقة، وخلال الشهور الأخيرة بعد العقوبات الأمريكية التي طالت صناعات البتروكيماويات والمعادن الإيرانية خسرت إيران 10 مليارات دولار وانكمش اقتصادها بنسبة 6%.

وقد عبر صندوق النقد الدولي عن توقعاته بالنسبة إلى اقتصاد إيران في تقرير له في أكتوبر 2019، أشار فيه إلى أن عام 2020/2019 سيكون الأسوأ بالنسبة إلى إيران منذ عام 1983 إبان الحرب الإيرانية-العراقية[1]. ولا يزال الاقتصاد الإيراني معرضًا لتحديات عميقة مع تهديد الإدارة الأمريكية بفرض مزيد من العقوبات، وتواجه الدول والشركات والبنوك الأجنبية صعوبات في التعامل مع إيران، بما فيها الشركات الصينية والروسية.

لكنّ هناك اتجاه آخر يرى عدم فعالية سياسة البيت الأبيض في ممارسة الضغوط القصوى على إيران، وأنها لا تلبي طموحات الرئيس ترامب، وأن إيران نجحت في مقاومة هذه الضغوط والعقوبات، وأن سياسة إيران قد أسهمت في عدم مصداقية الولايات المتحدة، وتعزيز نفوذ إيران الإقليمي وتعزيز دور حلفائها وميليشياتها في المنطقة، فضلًا عن تعزيز شرعية استراتيجية المقاومة التي يتبناها النظام في الداخل، وتحقيق اصطفاف داخلي مناهض للولايات المتحدة وسياساتها، وفضلًا عن الموقف الأوروبي الذي يترك لإيران مسوغات قانونية ومنافذ دبلوماسية لمناهضة السياسة الأمريكية.

(1) World bank, Iran's Economic Update — October 2019,(9 OCT. 2019), accessed on: 13 Nov. 2019, https://cutt.us/NTyYH

إيـــران وباكستـــان

ستنظر مساهمة هذا الشهر في تقرير الحالة الإيرانية إلى زيارة رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان إلى إيران، وسيتم تحليل أهداف ودوافع الزيارة ودراسة نتائجها. من الضروري قبل الخوض في جوهر النقاش فهم السياق الذي تمت فيه زيارة رئيس الوزراء الباكستاني لإيران.

أولًا: سياق زيارة عمران خان إلى إيران

قال رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان في مقابلة حصرية مع ماكس فوستر على قناة «سي إن إن» إنَّ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قد طلب منه المساعدة في نزع فتيل التوترات بين الولايات المتحدة وإيران من خلال العمل على حل بديل. وأضاف خان أن ما يعجبه في ترامب هو عدم إيمانه بالحروب[1]. وقد صرح خان للصحفيين في الأمم المتحدة بعد اجتماعه مع كل من ترامب والرئيس الإيراني حسن روحاني بأن الرئيس الأمريكي طلب منه التوسط مع إيران لنزع فتيل التوتر في الخليج، وقال: «طلب مني ترامب أن نتخلص من هذا الوضع، وربما التوصل إلى اتفاق آخر»[2].

جاء هذا الطلب الأمريكي في أعقاب إلقاء واشنطن اللوم على إيران لشنّ هجمات على منشآت نفط أرامكو السعودية في 14 سبتمبر الماضي[3]. وقد استهدف الهجوم الذي اشتمل على 25 طائرة مسيّرة وصواريخ منشآت نفطية في مناطق بقيق وخريص شرقي المملكة العربية السعودية، وهي أكبر منشأة في العالم لمعالجة النفط ومحطة استخراج الزيت الخام بطاقة معالجة تزيد على 7 ملايين برميل يوميًّا. تتمتع خريص، التي تبعد نحو 110 أميال جنوب غرب بقيق، بالقدرة على ضخ نحو 1,5 مليون برميل يوميًّا[4].

ثانيًا: أبعاد الوساطة الباكستانية

وصل عمران خان إلى طهران يوم الأحد 13 أكتوبر، وهو الجزء الأول من رحلة دبلوماسية شملت السعودية أيضًا. وخلال هذه الرحلة اجتمع خان مع الرئيس الإيراني حسن روحاني والمرشد الإيراني علي خامنئي ومسؤولين إيرانيين كبار آخرين. وقال خان في مؤتمر صحفي إلى جانب روحاني: «نحن ندرك أنها قضية معقدة، لكننا نشعر أنه يمكن حلها من خلال الحوار. ما يجب ألا يحدث أبدًا هو حرب بين المملكة العربية السعودية وإيران، لأن هذا لن يؤثر فقط على هذه

---

(1) Foster, Max and Wilkinson, David. «Pakistan PM: Trump asked me to be a 'go- between' with Iran,» CNN, October 16, 2019, https://edition.cnn.com/2019/10/16/asia/imran- khan- intw- foster- int/index.html

(2) Business Standard, September 25, 2019, https://www.business- standard.com/article/pti- stories/pakistan- pm-says- trump- asked- him- to- mediate- with- iran- 119092500037_1.html

(3) Reuters, October 11, 2019, https://www.reuters.com/article/us- mideast- iran- pakistan/pakistan- pm- heading-to- iran- after- u- s- mediation- request- idUSKBN1WQ1XK

(4) Reid, David. «Saudi Aramco reveals attack damage at oil production plants,» CNBC, September 20, 2019, https://www.cnbc.com/2019/09/20/oil- drone- attack- damage- revealed- at- saudi- aramco- facility.html

المنطقة بأكملها فحسب، بل سيؤدي ذلك إلى الفقر في العالم، وسوف ترتفع أسعار النفط»[1]. كما عرض خان استضافة محادثات بين المملكة العربية السعودية وإيران في إسلام أباد، كمكان محايد.

تناقض خان مع تصريحاته السابقة خلال زيارته إلى طهران، والتي تفيد بأن زيارته كانت بناءً على طلب الولايات المتحدة، عندما أكد أن الزيارة إلى إيران والمملكة العربية السعودية كانت مبادرة باكستانية[2]، وقد أكد هذه المسألة وزير الدولة للشؤون الخارجية السعودي عادل الجبير عندما قال إنّ بلاده لم تطلب من باكستان التوسط وإن زيارة خان كانت مبادرة باكستانية. وبغضّ النظر عما إذا كانت زيارة خان بناءً على طلب ترامب أو بمبادرة باكستانية، فمن الواضح أن الزيارة كانت تهمّ باكستان لعدة أسباب مهمة:

1- يقع الخليج على مقربة من باكستان، وليس من مصلحة إسلام أباد أن تكون دولة مجاورة (أي إيران) في حالة حرب مع حلفائها في الخليج.

2- يواجه الاقتصاد الباكستاني تحديات هيكلية فعلية هائلة مع لجوء الحكومة الباكستانية إلى صندوق النقد الدولي والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية للحصول على مساعدات مالية. سوف تتضاعف هذه التحديات إذا ارتفعت أسعار النفط العالمية وظلت لفترة طويلة من الزمن، وستكون هذه النتيجة الطبيعية لأي صراع في الخليج.

3- تضم المملكة العربية السعودية نحو 1,9 مليون باكستاني، بينما تستضيف الإمارات 1,2 مليون باكستاني إضافي[3]. وفي حالة نشوب نزاع في الخليج، فلا شك أنّ المغتربين الباكستانيين سيتأثرون لأن التباطؤ الاقتصادي الإقليمي الذي سيتبع ذلك سيؤدي إلى قيام الشركات إما بالإغلاق وإما بتقليص حجم مشاريعها وإما بتسريح بعض موظفيها لمواجهة أزمة كهذه، ولن يكون أمام المغتربين الباكستانيين في ذلك الوقت خيار سوى العودة إلى باكستان، الأمر الذي سيؤثر بشدة على تدفقات التحويلات في باكستان، وفي هذه الحالة يزيد من حدة التحديات الاقتصادية التي تواجهها البلاد.

4- تقوم الهند، المنافس الرئيسي لباكستان، بتحسين عَلاقاتها مع طهران عن طريق استثمارها في ميناء تشابهار الإيراني. ومع ذلك كانت طهران منزعجة من امتثال نيودلهي للعقوبات الأمريكية على قطاع النفط الإيراني، فضلًا عن العمليات القمعية في كشمير. وتوفر هذه التطوّرات لإسلام أباد فرصة لتعزيز عَلاقاتها مع طهران، وفي الوقت نفسه تقلل من تأثير نيودلهي على القيادة الإيرانية.

5- تخشى باكستان أن يؤدي الصراع بين المملكة العربية السعودية وإيران إلى امتداده إلى أراضيها مع اندلاع صراع طائفيّ بين السنّة والشيعة[4]، ونتيجة لذلك تحرص باكستان على ضمان وجود تصعيد في الخليج لضمان استمرار الاستقرار النسبي الذي حققته بعد سنوات من محاربة الإرهاب مع انعدام حالة الأمن.

---

(1) Siddiqui, Sabena. «Pakistan hopes to ease hostility between Iran, Saudis,» Monitor, October 21, 2019, https://www.al- monitor.com/pulse/originals/2019/10/pakistan- ease- hostility- iran- saudis.html

(2) Al Jazeera, » Pakistan's Imran khan in Tehran to facilitate Iran- Saudi talks,» October 13, 2019, https://www.aljazeera.com/news/2019/10/pakistan- imran- khan- tehran- facilitate- iran- saudi- talks- 191013144217969.html

(3) Hashim, Asad and Chughtai, Alia. «Pakistan's ties with the Gulf countries,» Al Jazeera, June 07, 2017, https://www.aljazeera.com/indepth/interactive/2017/06/pakistan- ties- gulf- countries- 170609141743286.html

(4) Shams, Shamil. «Can Pakistan's Imran Khan mediate between Iran and Saudi Arabia,» DW.com, October 13, 2019, https://www.dw.com/en/can- pakistans- imran- khan- mediate- between- iran- and- saudi- arabia/a- 50813144

عندما غادر خان طهران، قال إنه سيذهب «إلى المملكة العربية السعودية بفكر إيجابيّ». وصل خان إلى الرياض في 15 أكتوبر وعُقدت مناقشات مفصلة مع القيادة السعودية، التي قالت بدورها إنها تقدّر جهود رئيس الوزراء الباكستاني من أجل تحقيق السلام ووقف تصاعد التوترات في المنطقة. ووفقًا لبيان الحكومة السعودية، فقد ناقش الجانبان آخر التطوّرات في المنطقة وعددًا من القضايا ذات الاهتمام المشترك[1]، وقدم بيان صحفيّ من مكتب خان مزيدًا من التفاصيل حول موافقة الجانب السعودي على دفع العملية إلى الأمام ومواصلة المشاورات والبقاء على اتصال[2].

ثالثًا: نتائج الوساطة

كانت هناك آراء متباينة حول نتيجة زيارة عمران خان إلى طهران، فقد كان وزير الخارجية الباكستاني شاه محمود قريشي -كما كان متوقعًا- متفائلًا بهذه الزيارة، وعندما تحدّث إلى الصحفيين في إسلام أباد بعد زيارة عمران خان إلى طهران والرياض، قال إنّ هناك آلية لاستمرار المشاركة بين البلدين قيد الإعداد. وعلى الرغم من أن البلدين لم يحدّدا موعدًا للمفاوضات، فإنّ هناك أملًا في أن يتلاشى التصعيد، خصوصًا أنّ طهران والرياض أبدتا تقديرهما لجهود عمران خان الدبلوماسية وعلامات الاستعداد للتفاوض[3].

ووفقًا للبرلماني المعتدل السابق في إيران، نوذر شفيعي، فقد كانت زيارة عمران خان علامة على تراجع التوترات بين المملكة العربية السعودية وإيران، إذ رحَّب البلدان برئيس الوزراء الباكستاني وأبديا تقديرهما لجهوده الرامية إلى تخفيف حدّة الأزمة في الخليج[4]. بالإضافة إلى ذلك، قال شفيعي إنّ باكستان تتمتع بعَلاقات جيدة مع كلا البلدين، ويجب على الرياض وطهران تعديل توقعاتهما للاستفادة من زيارة عمران خان إلى أقصى حد[5].

هناك أصوات داخل القيادة الإيرانية لا تثق بباكستان بسبب عَلاقتها الوثيقة بالرياض، وتشكك في مدى حياد إسلام أباد عند محاولة القيام بدور الوسيط لتهدئة التوترات. بالإضافة إلى ذلك، تُعَدّ باكستان جزءًا من البنية الأمنية الأمريكية في المنطقة، والتي تُلقي مزيدًا من الشكوك على حيادها من وجهة نظر الإيرانيين. هذه الأصوات يُحتمل أن تعرقل جهود باكستان لكسر الحاجز بين الطرفين، بالإضافة إلى أن السعودية لم تذكر إيران بعد زيارة عمران خان في بيانها الصحفي، وتحدثت عن الحاجة إلى السلام والاستقرار في المنطقة بطريقة عامّة إلى حدٍّ ما.

وبحسب الصحفي الباكستاني زاهد حسين، فإنّ توقُّع أن تؤدي لقاءات عمران خان مع قيادة كلا البلدين إلى مفاوضات هو توقُّع مبالغ فيه. وقال لقناة «الجزيرة» إنه «من المهمّ (بالنسبة إلى باكستان أن تفعل ذلك)، ولكني أشكّ كثيرًا في أن الجهود الباكستانية قد تثمر شيئًا لتسهيل

---

(1) Siddiqui, Sabena. «Pakistan hopes to ease hostility between Iran, Saudis,» Monitor, October 21, 2019, https://www.al- monitor.com/pulse/originals/2019/10/pakistan- ease- hostility- iran- saudis.html

(2) Prime Minister's Office, «Prime Minister Imran Khan's visit to Saudi Arabia,» October 16, 2019, https://pmo.gov.pk/press_release_detailes.php?pr_id=3093

(3) Siddiqui, Sabena. «Pakistan hopes to ease hostility between Iran, Saudis,» Monitor, October 21, 2019, https://www.al- monitor.com/pulse/originals/2019/10/pakistan- ease- hostility- iran- saudis.html

(4) IRNA, «Imran Khan's success depends on the goodwill of Tehran, Riyadh,» October 14, 2019, https://en.irna.ir/news/83517437/Imran- Khan- s- success- depends- on- goodwill- of- Tehran- Riyadh

(5) IRNA, «Imran Khan's success depends on the goodwill of Tehran, Riyadh,» October 14, 2019, https://en.irna.ir/news/83517437/Imran- Khan- s- success- depends- on- goodwill- of- Tehran- Riyadh

المحادثات بينهما»[1]. وأضاف أنّ «الصراعات بين البلدين تزداد عمقًا، وهي ليست بالقضايا البسيطة التي نشأت للتوّ، بل نشأت منذ زمن، وكلا البلدين يشارك بعمق في هذه الصراعات في الشرق الأوسط. لذلك فإنّ جمعهم مع باكستان قد لا ينجح»[2].

خلاصة

من وجهة نظر باكستان، ليس من المستغرب أنها تريد أن تعمل كوسيط لتخفيف التوترات في الخليج بسبب الأسباب المذكورة أعلاه، ولكن في الوقت نفسه بالنظر إلى عدد لا يحصى من المشكلات التي تواجهها، بالإضافة إلى قربها من الرياض والصراعات الأخيرة مع طهران بشأن الإرهاب العابر للحدود، فإنه من المحيِّر كيف تعتقد قيادة إسلام أباد أن بإمكانها تسهيل المحادثات بين طهران والرياض! ما هو واضح خلال فترة عمران خان القصيرة في منصبه أنه اعتمد على رحلات ونجاحات السياسة الخارجية لاحتواء الاستياء الداخلي المتزايد مع إعادة إحياء قضايا الظروف الاجتماعية والاقتصادية. قد تكون هذه المبادرة بمثابة تحويل انتباه عن المخاوف الداخلية التي تزداد مع مطالبة المعارضة السياسية باستقالته.

إذا أراد المرء حقًّا تخفيف التوترات والدفع باتجاه المفاوضات، فستكون هناك حاجة إلى دولة أقوى بكثير تحمل القوة الدبلوماسية والاحترام المتبادل، مثل الصين التي تقيم عَلاقات إيجابية مع كلا البلدين ومستقلة عن الولايات المتحدة. وفي الوقت نفسه، لدى بكين مصلحة في ضمان الاستقرار في الخليج بسبب إمدادات النفط التي تشتد الحاجة إليها، ولكن مسألة ما إذا كانت الولايات المتحدة ستوافق على أن تتصرف الصين كوسيط في منطقة حساسة بالنسبة إليها، فهي مسألة أخرى تمامًا. بالإضافة إلى ذلك، ستحتاج إيران إلى إظهار بعض النيَّات الحسنة عن طريق كبح تدخلاتها في الشؤون الإقليمية، وقد أوضحت السعودية أنّ على إيران تغيير سياساتها تجاه الدول المجاورة لها وسلوكها في المنطقة إذا أرادت أن تُعامَل كدولة طبيعية.

---

(1) Hashim, Asad. «Will Imran Khan's Saudi- Iran tour ease tension in the region?,» Al Jazeera, October 16, 2019, https://www.aljazeera.com/news/2019/10/progress- imran- khan- saudi- iran- mediation- tour- 191016095831793.html

(2) Hashim, Asad. «Will Imran Khan's Saudi- Iran tour ease tension in the region?,» Al Jazeera, October 16, 2019, https://www.aljazeera.com/news/2019/10/progress- imran- khan- saudi- iran- mediation- tour- 191016095831793.html

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

WWW.RASANAH-IIIS.ORG

تقرير الحالة الإيرانية

أكتوبر 2019

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies